وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية الدعوة والإعلام
قسم الدعوة / الدراسات العليا
مرحلة الماجستير



الاحتساب على الغلو في محبة النبي ﷺ

(دراسة تأصيلية)

بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير

إعداد : فارس بن محمد الفارس

المرشد العلمي:
د. رزين بن محمد الرزين
الأستاذ المشارك بقسم الدعوة والاحتساب

العام الجامعي ١٤٣١/١٤٣٢ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شُرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى وصحبه وسلم .

أما بعد

فلقد أنعم الله – ﷻ – علينا بنعم كثيرة لا تعد ولا تحصى، ومن أعظم هذه النعم نعمة بعثة الرسولﷺ، الذي أرسله الله إلى الناس كافة؛ ليُبيِّن لهم الحق، ويحذرهم من الباطل، ويهديهم إلى الهدى والإيمان، ويبعدهم عن الزيف والضلال، والسير في مسالك الشياطين؛ وليخرجهم من الظلمات إلى النور، ومن الضلال إلى الهدى، ومن الكفر إلى الإيمان، ومن عبودية البشر إلى عبودية رب البشر، وليهديهم إلى صراط مستقيم، وأوجب علينا طاعته، ومحبته، وتعزيره ، وتوقيره.وجعل محبته من أعظم الواجبات في الدين، وأصل عظيم من أصول الإسلام، وشرط من شروط صحة الإيمان.

وجعل محبته مبنية على العبادة التي هي قربة يتقرب بها المسلم إلى ربه ؛ لهذا كان لا بد فيها من الإخلاص، وابتغاء وجه الله – تعالى – ثم متابعة النبي ﷺوالالتزام بسنته وهديه، وأن يعبد الله بما شرع لا بالأهواء والبدع.

والناظر لما حدث في محبة النبي ﷺ على مدار التاريخ البشري يجد أن الناس في محبته قد انقسموا إلى ثلاثة أقسام: قسم جفاه، وقسم غلاه، وقسم توسط بين الغلو والجفاء لكن الملاحظ أن أكثر الناس وقع بين الغلو والجفاء، وبين الإفراط والتفريط.

وعليه فقد ضل في باب محبة النبي ﷺ طائفتان كبيرتان من الطوائف المنتسبة للإسلام، طائفة الجفاة، وقد مثلها في الماضي المعتزلة الذين قدموا عقولهم على نصوص الوحي، وقد ورثت فلسفة المعتزلة ومنهجها في أيامنا هذه من نعتوا أنفسهم بالحداثيين والعصرانيين والمتنورين، الذين بهرتهم الحضارة الغربية وعلمانيتها المتحللة من الدين، والمعادية له.

ويقابل هؤلاء الجفاة طوائف الغلاة، الذين جعلوا محبة الرسول ﷺعندهم مجرد عاطفة متعلقة بالوجدان، تفرغ على شكل احتفالات، وقصائد وأناشيد، دون أن تلزم أصحابها بطاعة الرسول ﷺ، واتباع هديه وسنته، والدفاع عن دينه وتحكيم شرعه.

بل قد أوقع الغلو شرائح واسعة من أمة محمد ﷺ في الشرك الأكبر -والعياذ بالله - حيث خلعوا عليه الكثير من صفات الرب - سبحانه وتعالى - بزعم حبه وتوقيره.

واعتقد أن السلوك الذي يجب أن ندعو إليه في هذا الجانب هو منهج (الوسطية)، الذي تقوم عليه الشريعة الإسلامية .فقد جعل الله تبارك وتعالى هذه الأمة وسطاً بين الأمم في جميع أمور دينها، بما هيأ لها من أسباب التوسط في ذلك، فالمسلمون وسط بين الغالين والجافين، لم يغلوا كما غلت النصارى الذين جعلوا المسيح ابن اللهِ، ولم يقصروا كما قصّرت اليهود الذين قتلوا الأنبياء والرسل، بل قدّروا رسولهم حق قدرِه، وعظّموه حق تعظيمه، بطاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، وتقديم محبته على محبة النفس، والمال، والأهل، والولد، والسعي في إظهار دينه وإعلاء كلمته ونصر ما جاء به وجهاد من خالفه وتحكيمه وحده والتسليم لحكمه والرضا به إلى غير ذلك من أنواع التعظيم المشروع الذي فهمه سلف هذه الأمة وعملوا به فصدق عليهم التحقق بالوسطية التامة والخيرية الكاملة.

ولما كان الناس في الخصائص النبوية ثلاثة أطراف، طرفان ووسط: طرف غلا، وطرف جفا، وطرف توسط؛ ولتعلقها بما يعتقده المسلم في شخص الرسول الكريم من هنا كان اختيار الباحث لموضوع (**الاحتساب على الغلو في محبة النبي ﷺ**) عنواناً لدراسته التي تقدم بها في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كبحث تكميلي لنيل درجة الماجستير.

وترجع أهمية هذا البحث؛ لكون محبة الرسول ﷺ ركناً أصيلاً من أركان الإيمان، أصابه ما أصاب الإيمان من ضعف لدى بعض المسلمين، فأردت أن أبيّن مكانة المحبة من الإيمان، وأن المحبة أمر قد يستتر وراء الدعاوى والمزاعم بذكر بعض الشواهد الصادقة لهذه المحبة، والأمور الفارقة بين الصادق فيها والكاذب.

وأيضاً من الأمور التي دعت للكتابة في هذا الموضوع ما ظنه كثير من المسلمين –تأثراً بغلاة الصوفية– أن من لوازم محبة الرسول ﷺ الغلو فيه ، والصحيح أن المحبة شيء مختلف تماما عن الغلو، فالأول فرض عين، والثاني ضلال مبين.

وكذلك اتهام كثير من الغلاة لعامة المسلمين، والمتمسكين بالسنة، بالجفاء للرسول ﷺ ما لم يوافقوهم في غلوهم الذي يسمونه محبة. فأردت أن أُبين وجه الصواب في المحبة ووجه المخالفة للمحبة وهو الغلو.

ويمكن تلخيص الأسباب التي دعت الباحث إلى اختيار هذه الموضوع في العناصر التالية:

١. عدم وجود مؤلف أو رسالة – حسب علمي – تتناول الاحتساب على الغلو في محبة النبي ﷺ.
٢. غلو بعض المسلمين في محبة النبي ﷺ خاصة في هذا العصر.
٣. إحداث حالة وعي تثقيفي للمسلمين بأهمية محبة النبي ﷺ.
٤. تحذير المسلمين من الوقوع في الغلو.
٥. نشر مظاهر محبة النبي ﷺ.
٦. بيان مظاهر الغلو وطرق الوقاية منه.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث حول: (الاحتساب على الغلو في محبة النبي ﷺ) لم يجد الباحث دراسة متخصصة حول هذا الموضوع، إلا بعض الدراسات والأبحاث التي تتناول الغلو في الدين عامة، والفِرق المغالية في العقيدة الإسلامية، والتي تطرقت للغلو في النبي ﷺ بشكل مجمل، دون الحديث عن الاحتساب على الغلو في محبته ﷺ.

ومن تلك الدراسات ما يلي:

١. الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة[1]:

---

(١) الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة ، عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، رسالة ماجستير، منشورة في كلية الشريعة ١٤١٢هـ، ط ٥، ١٤٢٦هـ .

وتهدف الدراسة إلى بيان مفهوم الغلو، وأسبابه، وجذوره، ومجالات الغلو العقدية والتشريعية، والعملية والسلوكية، والغلو في الولاء والبراء، والتعصب للجماعة، والتكفير، والتشديد على النفس بتحريم الطيبات، والخروج على الحاكم وتكفيره.

وقد سلك الباحث في رسالته عدة مناهج بحثيه وهي:

١. **المنهج التاريخي**: وهو (منهج يعتمد على النصوص والوثائق التي هي مادة التاريخ الأولى ودعامة الحكم القوية، فيتأكد من صحتها، ويفهمها على وجهها..).
٢. **المنهج العلمي التحليلي**: وذلك باستخدام خطة منظمة للوصول إلى كشف الحقائق والبرهنة عليها بتقسيم الكل إلى أجزائه، ورد الشيء إلى عناصره المكونة له.
٣. **منهج تحليل المضمون**: وهو أسلوب للبحث العلمي يستخدمه الباحثون وخصوصاً في فن الإعلام؛ لوصف المحتوى الظاهر، والمضمون الصريح للمادة المراد تحليلها...

٢. مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر الأسباب. الآثار. العلاج[(١)].

وتختلف هذا الدراسة عن سابقتها. كما ذكر الباحث أن رسالته في الماجستير تناولت الغلو من الجوانب التالية:

١. الحقيقة أو (المفهوم)، بدراسة معنى الغلو في النصوص، ونقد مفاهيم المعاصرين في ضوء ذلك.
٢. طبيعة مشكلة الغلو، ويشمل ذلك بيان حجم المشكلة، وجذورها التاريخية، وطبيعتها.
٣. مظاهر الغلو التي تشكل بمجموعها: صورة مشكلة الغلو الواقعة في هذا الزمان.

---

(١) مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر الأسباب. الآثار. العلاج، عبدالرحمن بن معلا اللويحق ،رسالة دكتوراه منشورة في كلية الشريعة ١٤١٨هـ .

وبهذا يتضح أن مجالات الدراسة مختلفة بين البحثين فالأول: في المشكلة ذاتها، والثاني: فيما قبل المشكلة من العوامل، والأسباب، وما بعدها من الآثار، وما قبل المشكلة، وما بعدها من الوقاية والعلاج.

وببحث هذين الموضوعين تتكامل الدراسة، ويغطى هذا الموضوع من جميع جوانبه.

وتهدف الدراسة إلى بيان مشكلة الغلو، وأسباب مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر من أسباب علمية منهجية، وأسباب نفسية تربوية، وأسباب اجتماعية عالمية، وبيان آثار مشكلة الغلو، العقدية والفكرية، والآثار الاجتماعية، وعلاج مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر.

وقد سلك الباحث في رسالته عدة مناهج بحثيه وهي:

١. **المنهج التاريخي**: وهو (منهج يعتمد على النصوص والوثائق التي هي مادة التاريخ الأولى ودعامة الحكم القوية، فيتأكد من صحتها، ويفهمها على وجهها..).
٢. **المنهج العلمي التحليلي**: وذلك باستخدام خطة منظمة؛ للوصول إلى كشف الحقائق، والبرهنة عليها بتقسيم الكل إلى أجزائه، ورد الشيء إلى عناصره المكونة له.
٣. **المنهج النقدي**: وذلك بسبر النصوص والمذاهب والآراء لاختيارها، وتمييز الأقوال، ومعرفة مداخل الزيغ، والانحراف فيها، هذا ما تناولته الرسالتين.

أما في بحثي فيتناول الاحتساب على الغلو في محبة النبي ﷺ بشكل مفصل، وذكر بعض النماذج في هذا العصر، وأسباب الوقوع في الغلو، وطرق الوقاية والاحتساب عليها، وكذلك عرض لمظاهر المحبة للنبي ﷺ.

٣. ظاهرة الغلو في الدين في العصر الحديث[١]:

وتهدف هذه الدراسة إلى بيان مفهوم الغلو، وحكمه، وتاريخه، ومظاهره في العصر الحديث، وأسباب الغلو في العصر الحديث، وآثاره، والعلاج.

(١) ظاهرة الغلو في الدين في العصر الحديث ،محمد عبدالحكيم حامد، رسالة ماجستير .

وتختلف هذه الدراسة عن موضوع دراستي في أن هذه الرسالة تتناول موقف الإسلام والديانات السابقة من قضية الغلو، وأبرز مظاهر الغلو، الفرق التي ينتشر فيها، وعن أسباب الغلو، وطرق علاجه. بمعنى أنه دراسة عامة في الغلو والفرق المغالية في الدين.

أما في بحثي فيتناول الاحتساب على الغلو في محبة النبي ﷺ بشكل مفصل، وذكر بعض النماذج في العصر، وأسباب الوقوع في الغلو، وطرق الوقاية، والاحتساب عليها وكذلك عرض لمظاهر المحبة للنبي ﷺ.

٤. خطاب دعاة الغلو الاعتقادي في المجمع السعودي[١]:

وتهدف الدراسة إلى بيان الغلو الاعتقادي ، وموقف الإسلام منه، وبيان مفهوم الخطاب الدعوي الاعتقادي ، وسماته، ومرتكزاته ، وعلاقته بمتغيرات المجتمع الإسلامي، وواجب العلماء تجاهه، وأهداف الخطاب الدعوي الاعتقادي، وموضوعاته، وبيان أساليبه، والعوامل المؤثرة فيه، والجهود المبذولة لمواجهة خطاب دعاة الغلو الاعتقادي من جهة علماء الشريعة، وكذلك التوصل إلى النموذج الدعوي المقترحة؛ لمواجهة خطاب دعاة الغلو الاعتقادي في المجتمع السعودي من جهة علماء الشريعة.

وقد سلك الباحث في هذه الدراسة المناهج العلمية التالية:

المنهج الوثائقي: الذي يتضمن بصفة أساسية وضع الأدلة المأخوذة من الوثائق والسجلات مع بعضها بطريقة منطقية، والاعتماد على هذه الأدلة في تكوين النتائج التي تؤسس حقائق جديدة.

المنهج الوصفي: والذي يهدف إلى جمع المعلومات اللازمة؛ لإعطاء وصف لأبعاد متغيرات الظاهرة المدروسة.

وأما فيما يتعلق بالدراسة التحليلة والميدانية فتعد ضمن الدراسات المسحية التي تتبع المنهج الكمي.

---

(١) خطاب دعاة الغلو الاعتقادي في المجمع السعودي، محمد بن إبراهيم الزهراني، رسالة دكتوراه في كلية الدعوة والإعلام ١٤٢٦هـ - ١٤٢٧هـ.

أهداف البحث:

تهدف الدراسة إلى الأمور التالية:

١ . التعريف بالمقصود بالغلو في محبة النبي ﷺ.

٢ . بيان موقف النبي المصطفى ﷺ من الغلو فيه.

٣ . بيان وجوب محبته ﷺ.

٤ . تحذير المسلمين من الغلو في النبي ﷺ.

٥ . تبصير الناس ببعض نماذج الغلو في محبة النبي ﷺ.

٦ . التوصل إلى أسباب وقوع الغلو في النبي ﷺ.

٧ . التوصل إلى طرق الوقاية والاحتساب على الغلو في النبي ﷺ.

تساؤلات الدراسة:

١. ما المقصود بالغلو في محبة النبي ﷺ؟.

٢. كيف كان حرص النبي الكريم ﷺ على التحذير من الغلو فيه؟

٣. ما الفرق بين المحبة والغلو والجفاء في النبي المصطفى ﷺ؟.

٤. ما حكم الغلو في محبة النبي ﷺ؟.

٥. ما أسباب وقوع الغلو في محبة النبي ﷺ؟.

٦. ما سبل الوقاية والاحتساب على الغلو في محبة النبي ﷺ؟.

منهج الدراسة:

سيسلك الباحث في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي، وهو أن يبدأ بالجزئيات؛ ليصل منها إلى قانون أو حكم عام يشملها جميعاً[1]. من خلال استقراء الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وكلام أهل العلم من الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان من العلماء المصلحين.

أدوات البحث: **استمارة تحليل المضمون – الاستبانة**.

من خلال البحث والتنقيب في الجامعات السعودية، ومركز الملك فيصل للأبحاث، وكشافات الرسائل العلمية لم أجد مَنْ تناول موضوع الاحتساب على الغلو في محبة النبي ﷺ في رسالة أو بحث، ولذلك شرعت في ذلك سائلاً الله جل وعلا الإعانة والتسديد والقبول.

تقسيمات الدراسة:

- مقدمة.
- تمهيد.

الفصل الأول: محبة النبي ﷺ:

- المبحث الأول: أهمية محبة النبي ﷺ.
- المبحث الثاني: مظاهر محبة النبي ﷺ.

الفصل الثاني: الغلو في محبة النبي ﷺ:

- المبحث الأول: الفرق بين الغلو، والمحبة، والجفاء في النبي ﷺ.
- المبحث الثاني: نشأة الغلو في محبة النبي ﷺ.
- المبحث الثالث: موقف الإسلام من الغلو في النبي ﷺ.
- المبحث الرابع: مظاهر الغلو في محبة النبي ﷺ.
- المبحث الخامس: أنواع الغلو في محبة النبي ﷺ.
- المبحث السادس: أسباب الغلو في محبة النبي ﷺ.

---

(١) البحث العلمي مناهجه وتقنياته ، محمد زيان عمر، ص ٤٩ .

الفصل الثالث: الاحتساب على الغلو في محبة النبي ﷺ:

- المبحث الأول: طرق الوقاية من الغلو في محبة النبي ﷺ.
- المبحث الثاني: الاحتساب على الغلو في محبة النبي ﷺ.

الفصل الرابع: الآثار المترتبة على الغلو في النبي ﷺ وآثار الاعتدال في محبته:

- المبحث الأول: الآثار المترتبة على الغلو في محبة النبي ﷺ.
- المبحث الثاني: الآثار المترتبة على الاعتدال في محبة النبي ﷺ.

خاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

ومن باب قول النبي ﷺ: (من أسدى إليكم معروفاً فكافئوه عليه). ومن باب: (من لم يشكر الناس لا يشكر الله)[1] أسجل شكري وتقديري لأستاذي الفاضل الذي أشرف على هذا البحث أ. د/**رزين بن محمد الرزين**-الأستاذ المشارك بقسم الدعوة والاحتساب- نحسبه والله حسيبه أنه يستحق كل خير ، أسأل الله أن يبارك له في عمره وعلمه وعمله وماله وأهله ، وأرجو من الله – عز وجل – أن يرزقه الصحة والعافية وأن يجعل ما بذله معي من جهد وتعب ومشقة في ميزان حسناته، وأن يوفقه الله دائماً لخدمة الإسلام وأبنائه، وأن يكونا دوماً الراية التي يستظل تحت لوائها الباحثون والدارسون.(اللهم آمين).

ولا أنسى في هذا المقام أن أسدي جميل شكري وتقديري لجميع أعضاء هيئة التدريس بكلية الدعوة والإعلام – قسم الدعوة – الذين قاموا بتدريسي في مرحلة الماجستير.

وفي النهاية لا يسعني إلا أن أقول ما قاله (العماد الأصفهاني)- رحمه الله –[2]:

---

(١) مسند ابي سعيد الخدري (٧٣/٣ ، ١١٧٢١) رواه أحمد وأبو داود والترمذي في سننه كتاب البر والصلة ن باب الشكر لمن أحسن إليك (٣٣٩/٤ ، ١٩٥٤) من حديث الأشعث بن قيس مرفوعا بمثله، إلا أنه منقطع، وإسناده صحيح وصححه الألباني. انظر صحيح وضعيف الجامع الصغير محمد ناصر الدين الألباني (١١٥٥/١) .

(٢) محمد بن صفي الدين الملقب بـ عماد الدين الأصفهاني (١١٢٥-١٢٠١م / ٥١٩-٥٩٧هـ) مؤرخ وأديب وشاعر عاصر الدولة النورية والأيوبية ودون أحداثهما توفي في دمشق عام ١٢٠١م. من مؤلفاته: جريدة القصر وجريدة أهل العصر وديوان الرسائل والفتح القسي في الفتح القدسي (كتاب تاريخي).

(إني رأيت أنه لا يكتب إنساناً كتاباً في يومه، إلا قال في غده: لو غُيِّر هذا لكان أحسن، ولو زيد لكان يستحسن وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر)[١].

(١) الحصيلة اللغوية أحمد محمد المعتوق, عالم المعرفة العدد (٢١٢) ص ٢٦ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت.

التمهيد

يرى الباحث أنه من الأوفق قبل الحديث عن (الاحتساب على الغلو في محبة النبي ﷺ) أن يبين مفهوم مفردات عنوان الدراسة والتعريفات الإجرائية للدراسة، والمقصود بها هنا في مجال البحث.

التعريف بمفردات عنوان الدراسة:

لابد لمن يرغب في التصدي لموضوع بعينه أن يلج أولا مفهومه أو دلالاته أو معانيه.. ولا سيما إذا كان قد تمحور في مصطلح بعينه .. ولما كان موضوع دراستنا (الاحتساب على الغلو في محبة النبي ﷺ) فمن الطبيعي ان نبدأ بالكشف عن دلالة هذه المصطلحات من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية مرورا بمرادفاته وانتهاءً بدوافعه.

أولا: تعريف الاحتساب:

بداية من الأخطاء الشائعة عند كثير من الناس أنه ينطق كلمه (الحُسبة) بضم الحاء وهو خطأ شائع ، والنطق الصحيح لها يقال (الحِسبة) بكسر الحاء اسم من الاحتساب (كالعدة من الاعتداد)[(١)] . وكلمة الاحتساب لها عدة معان[(٢)] :

١. بمعنى طلب الأجر. ومن ذلك قوله ﷺ: (من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه)[(٣)].
٢. بمعنى الاختبار. ومنه قول القائل: احتسبت فلانًا: أي اختبرت ما عنده، ويقال: النساء يحتسب ما عند الرجال لهن أي يختبرن.
٣. بمعنى الإنكار. يقال احتسب فلان على فلان، أي أنكر عليه قبيح عمله. ومنه المحتسب الذي ينكر على الناس قبيح أعمالهم.

---

(١) لسان العرب ، لابن منظور، الجزء الثالث ، ص١٦٤ دار إحياء التراث العربي.

(٢) لسان العرب حرف الباء الموحدة / فصل الحاء المهملة.

(٣) أخرجه البخاري / كتاب الإيمان / باب من صام رمضان احتسابًا من الإيمان / رقم الحديث (٣٨) .وأخرجه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها / باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح / رقم الحديث (٧٥٩).

بمعنى الظن. ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴾ [(١)].

ومعنى يحتسبون: يظنون.بمعنى الاعتداد. يقال: فلان لا يُحْتَسَبُ به: أي لا يُعْتَدُّ به.

معنى الاحتساب اصطلاحاً:

عرف العلماء الحسبة بعدة تعاريف، والحقيقة أن اختلاف العلماء في تعريفها يرجع إلى المقصود بالتعريف، هل المقصود تعريف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عامه؟، أو المقصود تعريف ولاية الحسبة كولاية خاصة؟، وكل واحد من هؤلاء الذين عرفوا الحسبة عرفها من زاوية مختلفة، ولكنها في الحقيقة ترجع إلى تخصص ونظر المؤلف الذي عرف هذه التعاريف، ومن أقدم التعاريف ما عرفها به الإمام (الماوردي)[(٢)] – رحمه الله – حيث عرف الحسبة بأنها (أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله[(٣)].

ويتميز هذا التعريف بأنه تعريف مختصر جداً، ويتناول جوانب مهمة في التعريف حيث يبدأ بأمر، والأمر إذا أطلق يعني الإلزام، و الإيجاب، و الإجبار على هذا الأمر المعين. لذلك قيل: (أمر بالمعروف) فالأمر يعني الوجوب إذا أطلق في الشرع، وهذا الوجوب له أدوات، ومن ضمن هذه الأدوات الإلزام به، ولذلك نحن نقول: إن من صفات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حمل الناس على هذا الأمر، وحمل الناس على القيام بالأمر المأمور به. فالحسبة هنا تكون باعتبارها ولاية من الولايات الشرعية التي ينبغي على إمام المسلمين إقامة هذه الولاية.

---

(١) سورة الزمر, آية: ٤٧.

(٢) هو الفقيه الحافظ أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي من أكبر قضاة آخر الدولة العباسية،ومن أكبر فقهاء الشافعية.ولد في البصرة عام (٣٦٤ هـ ٩٧٤ م)، ومن أهم كتبه أدب الدنيا والدين والأحكام السلطانية، اتهم بالاعتزال لكن انتصر له تلميذه الخطيب البغدادي . توفي سنة (٤٥٠هـ– ١٠٥٨ م)، وكان قد بلغ ٨٦ سنة.

(٣) الأحكام السلطانية. ص (٢٤) .

ثانياً : تعريف الغلو:

إذا نظرنا إلى كلمة الغلو في اللغة نجد أن: (الغين واللام والحرف المعتل، أصل صحيح يدل على ارتفاع ومجاورة قدر، يقال: غلا السِعر يغلو غلاء، وذلك ارتفاعه، وغلا الرجل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غلواً، إذا جاوز حده) [1]. وقال ابن منظور [2]: (غلا في الدين والأمر، يغلو غلواً: جاوز حده) [3].

وجاء في القاموس المحيط مادة (غلا) [4]: غلا في الأمر غلوًّا: جاوز حدَّه. فالغلوّ هو تجاوز الحدّ، قال تعالى:﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ﴾ [5].

وقال بعضهم:غَلَوْت في الأَمر غُلوّاً وغلانية وغلانيا إذا جاوزْت فيه الحدّ وأفرطت فيه . والغُلُوُّ : الإِعْداء . وغَلاَ بالسَّهْمِ يَغْلُو غَلْواً وغُلُوّاً وغالَى به غِلاءً : رَفَعَ يدَه يريد به أَقْصَى الغاية وهو من التجاوزِ؛ ومنه قول الشاعر: كالسَّهْمِ أَرْسَلَه من كَفِّه الغالي. والمغالي بالسَّهْمِ : الرافِعُ يدَه يريدُ به أَقصَى الغايةِ [6] .

فمعنى الغلو في لغة العرب: هو كل ما تجاوز حده، وارتفع عن قدره، وأفرط في أمر ما، سواء كان شخصا أو قضية أو جماعة .

---

(١) معجم مقاييس اللغة ، مادة (غلوى) / (٤/ ٣٧٨) المؤلف : أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا المحقق : عبد السلام محمد هارون الناشر .

(٢) هو محمد بن مكرّم بن علي بن أحمد، الأنصاري الإفريقي المصري، ولد بمصر ٦٣٠هـ.كان عالما في الفقه واللغة، والتاريخ والأدب.ومن أهم مصنفاته : مختار الأغاني الكبير، ومختصر زهر الآداب للحصري، ومن أشهر أعماله وأكبرها، "لسان العرب"، توفاه الله في مصر سنة ٧١١هـ .

(٣) لسان العرب: مادة (غلا) (١٥/ ١٣١) .

(٤) انظر: مفردات القرآن للراغب الأصفهاني ص٦١٣، طبعة دار القلم. دمشق, ١٤١٢هـ .

(٥) سورة النساء, آية: (١٧١) .

(٦) لسان العرب لابن منظور (١٥/١٣٢) بتصرف .

معنى الغلو اصطلاحاً :

قال الجصاص[1] – رحمه الله –: هو مجاوزة حد الحق فيه[2].وقال الإمام أبو شامة[3] – رحمه الله –: فكل من فعل أمرا موهما أنه مشروع وليس كذلك فهو غال في دينه مبتدع فيه قائل على الله غير الحق بلسان مقاله أو لسان حاله[4].

ولما كانت هذه اللفظة (الغلوّ) من الألفاظ التي وردت في الكتاب والسُّنة إمَّا نصًّا منطوقًا أو مفهومًا، فقد عرفت في الاصطلاح بعدة تعريفات اجتهد فيها أهل العلم ومن ذلك:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[5]– رحمه الله –: (الغلو: مجاوزة الحد بأن يزاد في الشيء، في حمده أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك) [6].

١. وعرفه الحافظ ابن حجر – رحمه الله –: (المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد) [7].

ويقابل (الغلو) التقصير، وكلاهما مذموم، وخير الأمور الوسط. وتدور معاني الوسطية على (الخيرية، والعدل، والأفضلية بين شيئين).**قال ابن فارس:** (الواو والسين والطاء: بناء صحيح يدل على العدل والنصف، وأعدل الشيء أوسطه ووسطه)[8].

---

(١) أبوبكر أحمد بن على الرازى الجصاص الحنفى. ولد في مدينة الري ، سنة ٣٠٥ هـ . ، حاز مكانة علمية سامقة بين العلماء. من أهم مؤلفاته :شرح الجامع الكبير وشرح الجامع الصغير ،وأحكام القرآن ، توفى سنة ٣٧٠هـ عن ٦٥ سنة.

(٢) أحكام القرآن للجصاص (٢٨١/٣) ط .

(٣) شهاب الدين أبو القاسم، المقدسي الأصل، المعروف بأبي شامة. ولد سنة ٥٩٩-١٢٠٢م بدمشق ،كان فقيهاً، مؤرِّخاً، مقرئاً، نحوياً. وعُني بالحديث. درَّس وأفتى وصنّف، ولي مشيخة دار الحديث الأشرفية. من أشهر مؤلفاته: مختصر تاريخ ابن عساكر والباعث على إنكار البدع والحوادث وإبراز المعاني في شرح الشاطبية ، توفي في دمشق سنة ٦٦٥هـ – ١٢٦٧م.

(٤) الباعث على إنكار البدع والحوادث(ص٢٠، ٢١) .

(٥) هو شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن محمد بن الخَضِر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله ابن تيمية. وُلِد بحرَّان سنةَ ٦٦١هـ، ولما بلغ من العمر سبع سنوات انتقل مع والده إلى دمشق.تُوفِّي الشيخ (رحمه الله) وهو مسجون بسجن القلعة بدمشق ليلة الاثنين ٢٠ من شهر ذي القعدة سنةَ ٧٢٨هـ، له مؤلفات عديدة ومتنوعة أشهرها الفتاوى.

(٦) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم (٢٨٩/١) المؤلف : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس .

(٧) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٢٧٨/١٣) ، للحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني .

(٨) مقاييس اللغة (١٠٨/٦).

وقال الفيروزآبادي: (الوسَط: محرّكة، من كل شيء: أعدله) [1].

قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [2]

قال الإمام الطبري[3] في تفسير هذه الآية: (الوسط في كلام العرب في هذا الموضع هو الوسط بمعنى الجزء الذي هو بين الطرفين..وأرى أن الله – تعالى ذكره – إنما وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلوّ فيه، كغلوّ النصارى الذين غلوا بالترهّب... ولا هم أهل تقصير فيه، كتقصير اليهود الذين بدّلوا كتاب الله، وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربّهم وكفروا به، ولكنهم أهل توسّط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحبّ الأمور إلى الله أوسطها.وأمّا التأويل فإنه جاء بأن الوسط العدل.. وذلك معنى الخيار؛ لأن الخيار من الناس عدولهم) [4].

ثانياً : تعريف المحبة:

الحب كلمة دائرة على ألسنة الناس، رمزا لتعلق القلوب وميلها إلى ما ترضاه وتستحسنه. ويطلق في اللغة على عدة أوجه منها (صفاء المودة).

و(الحب: نقيض البغض، والحب: الوداد والمحبة، وأحب فهو محب، والمحبة أيضا: اسم للحب، وتحبب إليه تودد، وامرأة محبة لزوجها، ومحب أيضا، والحب: الحبيب، مثل خدن وخدين، والحب: المحبوب ، وكان زيد بن حارثة –رضي الله عنه–، يدعى حب رسول الله ﷺ. وحُببت إليه: صرت حبيباً، وهم يتحابون: أي يحب بعضهم بعضا، والتحبب: إظهار الحب) [5]. وقال بعضهم: الحب أصله في لغة العرب الصفاء؛ لأن العرب

---

(١) القاموس المحيط (وسط).

(٢) سورة البقرة الآية ١٤٣.

(٣) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، الشهير بالإمام الطبري، ولد سنة٨٣٨–٢٢٤هـ مؤرخ ومفسر وفقيه، صاحب أكبر كتابين في التفسير والتاريخ. يعد من أكبر علماء الإسلام تأليفًا وتصنيفًا،إمام المؤرخين ، من أبرز مؤلفاته تفسير الطبري المسمى (بجامع البيان عن تأويل آي القرآن)، وآداب النفس الجيدة والأخلاق النفيسة،وتأريخ الأمم والملوك.توفي عام (٣١٠٩٢٣)

(٤) تفسير الطبري – المسمّى جامع البيان – (٦/٢).

(٥) لسان العرب لابن منظور . مادة « حبب » (١/ ٢٨٩) محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري الطبعة الأولى .

تقول لصفاء الأسنان حبب، وقيل مأخوذ من الحُباب الذي يعلوا المطر الشديد وعليه عرفوا المحبة بأنها: غليان القلب عند الاحتياج للقاء المحبوب، وقيل غير ذلك.

تعريف المحبة اصطلاحاً:

قال الراغب: (المحبة ميل النفس إلى ما تراه وتظنه خيراً، وذلك ضربان: أحدهما طبيعي وذلك يكون في الإنسان والحيوان، وقد يكون في الجمادات، والآخر اختياري ويختص به الإنسان[١]. أيضاً من مما ورد في مفهوم المحبة: أنها الميل إلى ما يوافق المحب، وقد تكون بحواسه كحسن الصورة، أو بفعله إما لذاته كالفضل والكمال، وإما لإحسانه كجلب نفع أو دفع ضر. انتهى ملخصاً ما قاله النووي ونقله ابن حجر في الفتح.[٢] وقال ابن القيم[٣] – رحمه الله –: لا تحد المحبة بحد أوضح منها. فالحدود لا تزيدها إلا خفاء وجفاء. فحدها وجودها. ولا توصف المحبة بوصف أظهر من (المحبة).

وإنما يتكلم الناس في أسبابها ،وموجباتها،وعلاماتها ، وشواهدها، وثمراتها،وأحكامها. فحدودهم ورسومهم دارت على هذه الستة.وتنوعت بهم العبارات. وكثرت الإشارات، بحسب إدراك الشخص ومقامه وحاله وملكه للعبارة".[٤] وقد ذكر ابن القيم – رحمه الله – أكثر من ثلاثين تعريفاً في المحبة ورد عليها بأن أكثرها في حكم المحبة وموجباتها ومقتضاها وشواهدها وحقوقها وثمراتها[٥] .

وسبب هذا الاختلاف في تعريف المحبة – كما بين ابن القيم- يرجع إلى أن الشيء إذا كان من الأمور الوجدانية الذوقية مما يعلم بآثاره وعلاماته، ويقع فيه التفاوت بالشدة والضعف، اختلفت العبارات في تعريفه بحسب اختلاف لوازمه.[٦]

---

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة (٣٦٣).

(٢) فتح الباري (١/ ٧٤) موسوعة نضرة النعيم [٣٣٢٦/٨] طريق الهجرتين [ج١/ص٥٤٦] .

(٣) ابن قيم الجوزية (١٣٤٩-١٢٩٢) من علماء الدين الإسلامي في القرن الثامن الهجري. ولد في دمشق ودرس على يد ابن تيمية الدمشقي وتأثر به.زادت مؤلفاته على 98 مؤلفا ومنها:الصواعق المرسلة.وزاد المعاد.ومفتاح دار السعاده ومنثور ولاية العلم والإراده.ومدارج السالكين.توفي في ليلة الخميس ٧٥١/٧/١٣هـ، و١٣٤٩م ، وبه كمل من العمر ستون سنة. وصلى عليه في الجامع الأموي بدمشق

(٤) مدارج السالكين [٩/٣].

(٥) مدارج السالكين [٩/٣].

(٦) طريق الهجرتين [٤٤٠/١].

وأما كلام الناس في وصفه فقيل هو ميل القلب للمحبوب، وموافقة الحبيب في وجوده وغيبته، وأن يستولي ذكر المحبوب على قلب المحب، وأن تهب نفسك وروحك لمن أحببته، وإلا تفكر في أحد غيره، وأن تغار عليه وأن تحفظ حدوده، وتقوم لمحبوبك بكل ما يحبه منك، وأن يعمى القلب عن رؤية غير المحبوب .

أنواع المحبة:

أما بالنسبة لأنواع المحبة، فقد قسم الراغب الأصفهاني[1]- رحمه الله - المحبة إلى عدة وجوه حيث قال: (والمحبة إرادة ما تراه خيراً أو تظنه خيراً). وهي على **ثلاثة أوجه:**

محبة للذة، كمحبة الرجل المرأة ومنه: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾[2].

محبة للنفع، كمحبة شيء ينتفع به ومنه: ﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[3]. ومحبة للفضل، كمحبة أهل العلم بعضهم لبعض من أجل العلم[4].وقسم ابن القيم- رحمه الله - المحبة إلى **خمسة أوجه هي:**

الأول: الصفاء والبياض ومنه قولهم: لصفاء بياض الأسنان، ونضارتها (حبب الأسنان).

الثاني: العلو والظهور ومنه: (حبب الماء وحبابه). وهو: ما يعلوه عند المطر الشديد، وحبب الكأس منه.

الثالث: اللزوم والثبات. ومنه: حب البعير وأحب، إذا برك ولم يقم.

قال الشاعر:

حلت عليه بالفلاة ضرباً

ضرب بعير السوء إذ أحبَّا

---

(١) هو أبو القاسم الحسين بن مفضل بن محمد، ولد في رجب سنة ٣٤٣ هـ من أهل(أصبهان)وعاش في بغداد،قيل أنه من المعتزلة غير أن الإمام جلال الدين السيوطي أكد أنه من أئمة السنة ،وهو أديب، من الحكماء العلماء.من كتبه (محاضرات الأدباء)، و(الذريعة إلى مكارم الشريعة) و (الاخلاق) .

(٢) سورة الإنسان، جزء الآية (٨).

(٣) سورة الصف، جزء الآية (١٣).

(٤) المفردات في غريب القرآن. لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني . تحقيق . محمد سيد كيلاني.

الرابع: اللب. ومنه: حبة القلب، للبه وداخله. ومنه: الحبة لواحدة الحبوب، إذ هي أصل الشيء ومادته وقوامه.

الخامس: الحفظ والإمساك. ومنه: حب الماء للوعاء الذي يحفظ فيه، ويمسكه. وفيه معنى الثبوت أيضاً[(١)].

ثم قال رحمه الله: ولا ريب أن هذه الخمسة من لوازم المحبة:

١. فإنها صفاء المودة، وهيجان إرادات القلب للمحبوب.

٢. وعلوها وظهورها منه؛ لتعلقها بالمحبوب المراد.

٣. وثبوت إرادة القلب للمحبوب ولزومها لزوما لا تفارقه.

٤. ولإعطاء المحب محبوبه لبه، وأشرف ما عنده، وهو قلبه.

٥. ولاجتماع عزماته، وإراداته، وهمومه على محبوبه.

فاجتمعت فيها المعاني الخمسة[(٢)].

والمقصود بمحبة النبي ﷺ هي: (أن يميل قلب المسلم إلى رسول الله ﷺ ميلا يتجلى فيه إيثاره ﷺ على كل محبوب من نفس، ووالد، وولد، والناس أجمعين. وذلك لما خصه الله من كريم الخصال، وعظيم الشمائل، وما أجراه على يديه من صنوف الخير، والبركات لأمته، وما امتن الله على العباد ببعثته ورسالته إلى غير ذلك من الأسباب الموجبة لمحبته عقلا وشرعا)[(٣)].

ويظهر ذلك في قوله تعالى:﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[(٤)]

(١) تعريف مختصر لابن القيم.

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص ١٧، ١٨) محمد بن أبي بكر أيوب أبو عبد الله الناشر دار الكتب العلمية .

(٣) محبة النبي ﷺ بين الاتباع والابتداع . لعبدالرؤوف محمد عثمان ص(٣٧ – ٣٨) .

(٤) سورة التوبة، الآية (٢٤).

وفي الحديث (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار[1]. وهذا الارتباط بين المحبتين ارتباط شرعي لا ينفك. فمن زعم أنه يحب الله ولم يحب رسوله ﷺ أو العكس فكلامه باطل واعتقاده فاسد.

قال ابن حجر: وحقيقة المحبة عند أهل المعرفه من المعلومات التي لا تحد وإنما يعرفها من قامت به وجدانا ولا يمكن التعبير عنه[2]نحو هذا قال ابن القيم: لاتحد المحبة بحد أوضح منها، فالحدود لا تزيدها إلا خفاء وجفاء، فحدها وجودها، ولا توصف المحبة بوصف اظهر من المحبة[3].

(١) هذا الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في أربعة مواضع:في كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان برقم: ١٦باب من كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار من الإيمان. برقم: ٢١وفي كتاب الأدب ، باب الحب في الله، برقم: (٦٤٠١) باختلاف يسير في الألفاظ.وفي كتاب الإكراه، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر، برقم: ٦٩٤١وأخرجه مسلم في صحيحه: في كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، برقم: (٦٧) و (٦٨) بلفظ :ثلاث من كن فيه وجد طعم الإيمان.

(٢) الفتح ٤٦٣/١٠ .

(٣) انظر مدارج السالكين ٩/٣ .

الفصل الأول: محبة النبي ﷺ.

ويشتمل على مبحثين:

- المبحث الأول: أهمية محبة النبي ﷺ.
- المبحث الثاني: مظاهر محبة النبي ﷺ.

المبحث الأول

أهمية محبة النبي ﷺ.

إن محبة الرسول ﷺ أصل عظيم من أصول الإيمان يتوقف على وجوده وجود الإيمان، فلا يدخل المسلم في عداد المؤمنين الناجين حتى يكون الرسول ﷺ أحب إليه من نفسه التي بين جنبيه، بل ومن الناس أجمعين. وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم، والسنة النبوية في أكثر من موطن.

١. محبة النبي ﷺ في القرآن :

(أ) قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[١].

فيفهم من تلك الآية الكريمة أن محبة الله ورسوله واجبة على جميع المسلمين ، ولم يكتف بذلك بل يجب تقديم هذه المحبة على كل شيء، فهذا (أعظم دليل على وجوب محبة اللّه ورسوله، وعلى تقديمها على محبة كل شيء، وعلى الوعيد الشديد والمقت الأكيد، على من كان شيء من هذه المذكورات أحب إليه من اللّه ورسوله، وجهاد في سبيله.

وعلامة ذلك، أنه إذا عرض عليه أمران، أحدهما يحبه اللّه ورسوله، وليس لنفسه فيه هوى، والآخر تحبه نفسه وتشتهيه، ولكنه يُفَوِّتُ عليه محبوبًا للّه ورسوله، أو ينقصه، فإنه إن قدم ما تهواه نفسه، على ما يحبه اللّه، دل ذلك على أنه ظالم، تارك لما يجب عليه[٢].

---

(١) سورة التوبة، آية (٢٤).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان تأليف/ عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي (١ / ٣٣٢) تحقيق/ عبدالرحمن بن معلا اللويحق – مؤسسة الرسالة – الطبعة : الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م.

قال القاضي عياض: (كفى بهذه الآية حظا وتنبيها ودلالة وحجة على لزوم محبته ووجوب فرضها واستحقاقه لها صلى الله عليه وسلم؛ إذ قرع تعالى من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله وأوعدهم بقوله تعالى: ﴿ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ﴾، ثم فسقهم بتمام الآية و أعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله)[1].

(ب) قوله تعالى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴾[2].

فواضح من تلك الآية أن النبي - ﷺ- لابد أن يكون أقرب وأولى للإنسان من نفسه التي بين جنبيه (فالرسول أولى به من نفسه، لأنه ﷺ، بذل لهم من النصح، والشفقة، والرأفة، ما كان به أرحم الخلق، وأرأفهم، فرسول اللّه، أعظم الخلق مِنَّةً عليهم من كل أحد، فإنه لم يصل إليهم مثقال ذرة من الخير، ولا اندفع عنهم مثقال ذرة من الشر، إلا على يديه وبسببه.

فلذلك، وجب عليهم إذا تعارض مراد النفس، أو مراد أحد من الناس مع مراد الرسول، أن يقدم مراد الرسول، وأن لا يعارض قول الرسول بقول أحد، كائنًا من كان، وأن يفدوه بأنفسهم وأموالهم وأولادهم، ويقدموا محبته على الخلق كلهم، وألا يقولوا حتى يقول، ولا يتقدموا بين يديه[3].

٢. محبة النبي ﷺ في السنة:

وإذا كانت الآيات القرآن ية قد أفاضت في الحديث عن وجوب محبة النبي – صلى الله عليه وسلم – وتقديمها على كل شيء، فإن الأحاديث النبوية قد أفاضت في هذا الشأن أيضاً. وقد جاءت الأحاديث لتؤكد مدلول هاتين الآيتين- أبلغ تأكيد وأوضحه. ومن تلك الأحاديث:

---

(١) الشفاء للقاضي عياض.

(٢) سورة الأحزاب, آية (٦).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان تأليف/ عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي - رحمه الله - (١ / ٦٥٩).

١. حديث عمر رضي الله عنه أنه قال للنبي ﷺ: يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شي إلا من نفسي، فقال النبي ﷺ: لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك فقال له: عمر فإنه الآن والله لأنت أحب إلى من نفسي فقال النبي ﷺ: الآن يا عمر) [(١)] .

٢. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين [(٢)] .

٣. عن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين [(٣)] .

يتضح مما سبق أن هذه الأحاديث تدل دلالة قاطعة على وجوب محبة الرسول ﷺ لأن المؤمن لا يستحق اسم الإيمان الكامل ولا يدخل في عداد الناجين حتى يكون الرسول ﷺ أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين. والتعبير "بأحب" دليل صريح على أن المحبة المطلوبة شرعا هي المحبة الراجحة، وأن الإيمان الكامل متوقف على رجحان هذه المحبة في القلب على ما سواها من محبة سائر المخلوقين.

وفي الحديثين السابقين خص الوالد والولد بالذكر لكونهما أعز خلق الله على الإنسان، بل ربما كانا أحب إليه من نفسه، وفي هذا تأكيد على أنه يجب أن يكون الرسول ﷺ أحب إلى نفس المؤمن من كل حبيب وعزيز عليه من سائر البشر جميعا [(٤)] .

وإذا كانت الآيات والأحاديث قد حثت على أهمية ووجوب محبة النبي ﷺ وعظمها في الدين فإن صحابة رسول الله ﷺ كانوا من أشد الناس حبا له، وأكثرهم قربا له، فكانوا يقدمون حبه على حب الآباء والأمهات والأولاد والأزواج وحتى على أنفسهم.فعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: (ما كان أحد أحب إلي من رسول الله ﷺ ولا أجل في عيني منه

---

(١) صحيح البخاري. كتاب الإيمان والنذور. باب كيف كانت يمين النبي ﷺ ٨ / ١٦١.

(٢) صحيح البخاري. كتاب الإيمان. باب حب الرسول ﷺ من الإيمان ١ / ١٠.

(٣) صحيح البخاري كتاب الإيمان . باب حب الرسول ﷺ من الإيمان ١ / ١٠ . ومسلم . كتاب الإيمان . باب وجوب محبة الرسول ﷺ ١ / ١٠.

(٤) محبة النبي ﷺ بين الاتباع والابتداع. لعبدالرؤوف محمد عثمان ص (٤٥).

وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالا له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه) [١] .

وسئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه كيف كان حبكم لرسول الله ﷺ؟ قال: (كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ) [٢]

والمطالع في كتب السير يجد صوراً كثيرة رائعة تدل على مدى حب الصحابة له ﷺ وإيثارهم له وتقديم أرواحهم رخيصة فداء له. والسؤال لماذا أحب الصحابة – رضوان الله عليهم – الرسولﷺ بهذه الطريقة؟ ولماذا فضلوه على أنفسهم؟ والجواب أننا إذا نظرنا إلى محبة الرسول ﷺ فسنجد أنه أمر مهم لأسباب متنوعة ومتعددة، وذلك لكثرة ما خصه الله به من أنواع الفضائل، وما أجراه على يديه من الخيرات لأمته. إلى غير ذلك من الدواعي التي تبين مدى أهمية محبة النبي ﷺ ومنها:

أولاً: أن حب المسلم للرسول ﷺ تابع لحبه لله – عز وجل –، وذلك لأن محبة الله تعالى هي أساس المحبة الشرعية، لأن الله هو المحبوب لذاته، وكل ما سواه مما يحب شرعا فمحبته تابعة لمحبة الله – عز وجل –. وذلك كمحبة أنبيائه ورسله وملائكته وعباده الصالحين، وكذلك محبة الأعمال والأخلاق التي يحبها الله ويرضاها، فمحبة ذلك كله تبع لمحبة الله – عز وجل – وهي من لوازم محبته فإن محبة الله توجب محبة ما يحبه الله.

قال ابن تيمية– رحمه الله –: (وليس للخلق محبة أعظم ولا أتم من محبة المؤمنين لربهم، وليس في الوجود ما يستحق أن يحب لذاته من كل وجه إلا الله تعالى، وكل ما يحب سواه فمحبته تبع لحبه، فإن الرسول عليه الصلاة والسلام إنما يحب لأجل الله، ويطاع لأجل الله، ويتبع لأجل الله) [٣] .

---

(١) مسلم ١٤٥/٨.

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء ، العلامة القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي (٢٢/٢).

(٣) انظر . مجموع الفتاوى ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ،المحقق : أنور الباز – عامر الجزار ، (١٠ / ٦٤٩).

وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[1]

ثانياً: أن الله تعالى أحبه واختاره من خلقه، فحب ما يحبه الله، من لوازم محبته ذلك أن الله اصطفاه على الناس برسالته، وجعله خاتم النبيين، وأفضل الخلق أجمعين وخليل رب العالمين، كما روى مسلم بسنده عن واثلة بن الأسقع قال سمعت النبي ﷺ يقول: (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل. واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم)[2].

فتبين لنا من هذا أن العلاقة بين المحبة والإيمان علاقة وثيقة فوجود أحدهما متوقف على وجود الآخر، وزيادة أحدهما تعني زيادة الآخر.

---

(١) سورة آل عمران ، جزء الآية (٣١).

(٢) صحيح مسلم كتاب الفضائل ، باب فضل نسب النبي ﷺ ٤ / ١٧٨٢.

المبحث الثاني

مظاهر محبة النبي ﷺ.

إذا ادعى الناس محبة النبي ﷺ ،فإننا نقول إن محبة النبي ﷺ لها مظاهر ودلائل تدل على حقيقة صدق هذه المحبة، ولهذا كان لزاماً على المسلم أن يعرفها ليحققها ويعمل بها. وأهم هذه المظاهر ما يلي:-

أولاً: طاعة الرسول ﷺ وإتباعه:

إن أقوى شاهد على صدق الحب هو موافقة المحب لمحبوبه وبدون هذه الموافقة يصير الحب دعوى كاذبة وأكبر دليل على صدق الحب لرسول الله ﷺ هو طاعته وإتباعه.

فالإتباع هو دليل المحبة الأول وشاهدها الأمثل، وهو شرط صحة هذه المحبة، وبدونه لا تتحقق المحبة الشرعية ولا تتصور بمعناها الصحيح.وإذا كان الله سبحانه قد جعل إتباع نبيه ﷺ دليلا على حبه سبحانه، فهو من باب أوفى دليل على حب النبي ﷺ. قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [(١)] .

قال ابن كثير [(٢)] رحمه الله:(هذه الآية حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية، بأنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله) [(٣)].ويؤكد القاضي عياض على ارتباط هذه المحبة بالموافقة

---

(١) سورة آل عمران، جزء الآية (٣١).

(٢) هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير, عماد الدين, أبو الفداء,المعروف بابن كثير, فقيه, مفت, محدث, حافظ, مفسر, مؤرخ, عالم بالرجال, مشارك في اللغة.ولد في سوريا سنة ٧٠٠هـ بقرية" مجدل " ، من أهم مؤلفاته: تفسير القرآن العظيم،والبداية والنهاية.توفي سنة ٧٧٤هـ في دمشق عن أربع وسبعين سنة وكان قد فقد بصره في آخر حياته، وقد ذكر ابن ناصر الدين أنه "كانت له جنازة حافلة مشهودة.

(٣) ابن كثير (٣٢/٢) لأبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي [٧٠٠ -٧٧٤ هـ] تحقيق: سامي بن محمد سلامة .

والإتباع فيقول: (اعلم أن من أحب شيئا آثره وآثر موافقته، وإلا لم يكن صادقاً في حبه وكان مدعيا، فالصادق في حب النبي ﷺ من تظهر علامة ذلك عليه) [١].

ثانياً: تعظيم النبي ﷺ وتوقيره والأدب معه:

تعظيم النبي ﷺ هو ما يقتضيه مقام النبوة والرسالة من كمال الأدب وتمام التوقير، وهو من أعظم مظاهر حبه، ومن آكد حقوقه ﷺ على أمته، كما أنه من أهم واجبات الدين.وهذا التعظيم مثل المحبة من حيث كونه تابعا للمعرفة، فعلى قدر المعرفة يكون التعظيم وتكون المحبة.

لذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم أكثر الناس حبا وتعظيم لرسول الله ﷺ لمعايشتهم له وقربهم منه. وهذا ما أشار إليه القرآن في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [٢]

وعن ابن شُمَاسَةَ المَهَرِيِّ قال حضرنا عمرو بن العاص فذكر لنا حديثاً طويلاً فيه: (وما كان أحدٌ أحب إليَّ من رسول الله ﷺ، ولا أجلَّ في عيني منه، وما كنت أطيقُ أن أملأ عيني منهُ إجلالاً له، ولو سئلتُ أن أصفه ما أطقت، لأني لم أكن املأ عيني منه) [٣].

وروى الترمذي عن أنس أن رسول الله ﷺ كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم جلوس فيهم أبو بكر وعمر، فلا يرفع أحدُ منهم إليه بصره إلا أبو بكر وعمرُ، فإنهما كانا ينظران إليه، وينظر إليهما، ويبتسمان إليه ، ويبتسمُ لهما [٤].

---

(١) الشفا، ٢ / ٢٤.

(٢) سورة الأعراف آية ١٥٧

(٣) صحيح مسلم (١١٢/١) ، كتاب الايمان باب كون الاسلام يهدم ماقبله وكذا الهجرة والحج .

(٤) سنن الترمذي (٦١٢/٥) باب مناقب ابي بكر الصديق .

ولما أذنت قريش لعثمان في الطواف بالبيت حين وجهه النبي ﷺ إليهم أبى وقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ ، وقال عروة بن مسعود حين وَجَّهَتْهُ قريش عام القضية إلى رسول اللهﷺ ، ورأى من تعظيم أصحابه له ما رأى، وأنه لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوئه، وكادوا يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقاً ولا يتنخم نخامة إلا تلقوها بأكفهم، فدلكوا بها وجوههم وأجسادهم ، ولا تسقط منه شعرة إلا ابتدروها، وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحِدُّونَ إليه النظر تعظيماً له ، فلما رجع إلى قريش قال: (يا معشر قريش ، إني جئتُ كسرى في ملكه، وقيصر في ملكه، والنجاشي في ملكه، وإني والله ما رأيت ملكاً في قوم قط مثل محمد في أصحابه، وقد رأيت قوماً لا يسلمونه أبداً). وهكذا كانت سيرة سلفنا الصالح وأئمتنا الماضين – رضي الله عنهم –[1].

ثالثاً: الاقتداء به والعمل بسنته، والتخلق بأخلاقه.

الاقتداء والتأسي برسول اللهﷺ أساس الاهتداء، قال تعالى:﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[2].قال ابن كثير : (هذه الآية أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أُمِرَ الناسُ بالتأسي بالنبي ﷺيوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه –عز وجل–)، ومن مظاهر الاقتداء به امتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والتأدب بآدابه في عسره ويسره، ومنشطه ومكرهه ومحبته من مهماتها وهذه أعظمها[3].

فعن أنس بن مالك قال: قال لي رسول الله: (يا بني إن قدرت أن تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لأحد فافعل ثم قال لي يا بني وذلك من سنتي ومن أحيا سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة)[4].

---

(١) الشفاء (٣٩/٢) في عادة الصحابة في تعظيمه ﷺ.

(٢) سورة الأحزاب الآية ٢١ .

(٣) انظر شرح العلامة الزرقاني على المواهب بالمنح المحمدية (١١٧/٩) المؤلف : محمد الزرقاني بن عبد الباقي بن يوسف بن احمد بن علوان المصري المحقق : محمد عبد العزيز الخالدية .

(٤) رواه الترمذي في سننه (٤٦/٥،٢٦٧٨) ، باب الأخذ بالسنة واجتناب البدع وضعفه الألباني في صحيحه وضعيف في سنن الترمذي (٢٦٧٨/٦،١٧٨) .

وتأمل قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1]

أي الشأن في أن الله يحبكم، لا في أنكم تحبونه وهذا لا ينالونه إلا بإتباع الحبيب[2].

وعلامة محبة العبد لله عز وجل اتباع مرضاة الله، والتمسك بسنة رسول الله ﷺ (فإذا ذاق العبد حلاوة الإيمان، ووجد طعمه ظهرت ثمرة ذلك على جوارحه ولسانه)[3].

ومن ألزم نفسه آداب السنة نور الله قلبه بنور المعرفة، ولا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب في أوامره، ونواهيه، وأفعاله، وأخلاقه ، والتخلق بأخلاقه في الجود والإيثار والحلم والصبر والتواضع وغيرها، فمن جاهد نفسه على ذلك وجد حلاوة الإيمان، ومن وجدها استلذ الطاعات وتحمل المشاق في الدين، وآثر ذلك على أغراض الدنيا الفانية[4]. قال أبو إسحاق الرقي[5]: (علامة محبة الله إيثار طاعته ومتابعة نبيه)[6]. ولا يظهر على أحد شئ من نور الإيمان إلا بإتباع السنة ومجانبة البدعة[7].

رابعاً: كثرة ذكره فمن أحب شيئا أكثر ذكره[8].

قال ابن القيم في الصلاة على النبي ﷺ: (إنها سبب لدوام محبته للرسول، و زيادتها وتضاعفها، وذلك عقد من عقود الإيمان الذي لا يتم إلا به، لأن العبد كلما أكثر من ذكر المحبوب، واستحضار محاسنه ومعانيه الجالبة لحبه؛ تضاعف حبه له، وتزايد شوقه إليه،

---

(١) سورة آل عمران آية ٣١ .

(٢) شرح المواهب اللدنية (٩/١٢٠).

(٣) المصدر السابق (٩/١٢٠).

(٤) شرح المواهب (٩/١٢٩).

(٥) هو إبراهيم بن أحمد بن محمد، ابن معالي الرقي، من علماء الحنابلة،طبيب وعالم وواعظ ، ولد برقة عام (٦٤٧هـ ـ ١٢٤٩م) وقرأ ببغداد ، وتقدم في علم الطب، وسمع منه البرزالي والذهبي، واستقر في دمشق وبها توفى سنة (٧٠٣هـ/-١٣٠٣م)، له مصنفات وخطب وشعر، واختصر جملة من كتب الزهد.

(٦) المصدر السابق (٩/١٢١).

(٧) المصدر السابق (٩/١٢١).

(٨) الشفاء (٢/٢٤).

واستولى على جميع قلبه، وإذا أعرض عن ذكره، وإحضاره، وإحضار محاسنه بقلبه؛ نقص حبه من قلبه، ولا شئ أقر لعين العبد المحب من رؤية محبوبه، ولا أقر لقلبه من ذكره وإحضار محاسنه، فإذا قوى هذا في قلبه جرى لسانه بمدحه والثناء عليه وذكر محاسنه، وتكون زيادة ذلك ونقصانه بحسب زيادة الحب ونقصانه في قلبه [(١)].

ويدخل ضمن الذكر المشروع تعداد فضائله وخصائصه وما وهبه الله من الصفات والأخلاق والخلال الفاضلة، وما أكرمه به من المعجزات والدلائل وذلك من أجل التعرف على مكانته ومنزلته والتأسي بصفاته وأخلاقه وتعريف الناس وتذكيرهم بذلك ليزدادوا إيمانا ومحبه له (ولكي يتأسوا به، ولا محظور في التمدح بذلك نثراً وشعراً مادام ذلك في حدود المشروع الذي أمر به الشارع الكريم) [(٢)].

خامساً: نصر دينه بالقول والفعل والذب عن شريعته.

إن الذب عن رسول الله ﷺ ونصرته، آية عظيمة من آيات المحبة والإجلال، قال الله تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ [(٣)]

ولقد سطر الصحابة – رضي الله عنهم – أروع الأمثلة وأصدق الأعمال في الذب عن رسول الله ﷺ، وفدائه بالأموال والأولاد والأنفس، في المنشط والمكره، في العسر واليسر، وكتب السير عامرة بقصصهم وأخبارهم التي تدل على غاية المحبة والإيثار، وما أجمل ما قاله أنس بن النضر يوم (أحد) لما انكشف المسلمون:اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعني أصحابه وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين، ثم تقدم فاستقبله سعد، فقال: يا سعد بن معاذ، الجنة ورب النضر، إني أجد ريحها من دون أحد، قال سعد: فما استطعت

---

(١) جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام ص (٢٤٨) لابن قيم الجوزية تحقيق طه يوسف شاهين ، طبع دار الكتب العلمية. بيروت

(٢) حقوق النبي ﷺ على أمته في ضوء الكتاب والسنة (٣٢٨/١) المؤلف: محمد بن خليفة بن علي التميمي الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٣) سورة الحشر آية ٨

يا رسول الله ما صنع، قال أنس بن مالك: فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل، وقد مثل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه.[(١)] والدفاع عن النبي ﷺ بعد موته أنواع نذكر منها:

١- نصرة دعوته ورسالته بكل ما يملك المرء من مال ونفس.

٢- الدفاع عن سنته ﷺ بحفظها وتنقيحها، وحمايتها ورد الشبهات عنها.

٣- نشر سنته ﷺ وتبليغها للناس كافة.

ومن الذب عن سنته ﷺ : حفظها وتنقيحها، وحمايتها من انتحال المبطلين وتحريف الغالين وتأويل الجاهلين، ورد شبهات الزنادقة والطاعنين في سنته، وبيان أكاذيبهم ودسائسهم، وقد دعا رسول الله ﷺ بالنضارة لمن حمل هذا اللواء بقوله: (نضر الله امرءاً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه، فرب مُبلّغ أوعى من سامع)[(٢)].

والتهاون في الذب عن رسول الله ﷺ أو الذب عن سنته وشريعته، من الخذلان الذي يدل على ضعف الإيمان، أو زواله بالكلية، فمن ادعى الحب ولم تظهر عليه آثار الغيرة على حرمته وعرضه وسنته، فهو كاذب في دعواه.

سادساً: كثرة الشوق إلى لقائه فكل حبيب يحب لقاء حبيبه.

أما في حياته فمعروف، وأما بعد موته فبأن يشتاق إلى لقائه في الآخرة ويشاهد ذاته الكريم، وقد نص النبي ﷺ على هذه العلامة فقال: (من أشد أمتي لي حبا ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني بأهله وماله)[(٣)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله: (والذي نفسي محمد في يده ليأتيني على أحدكم يوم لا يراني ثم لأن يراني معهم أحب إليه من أهله وماله)[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري ٢١/٦ و ٣٥٤/٧.في صحيحه كتاب الجهاد والسير باب قوله تعالى : (من المؤمني رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه)(١٠٣٢/٣) برقم (٢٦٥) .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده في حديث أبي بكرة نفيع بن الحارث (٢٦٥٧،٤٩/٥) .

(٣) صحيح مسلم كتاب الايمان باب فيمن يود رؤية النبي صلى الله عليه وسلم صحيح (١٤٥/٨).

(٤) صحيح مسلم (٩٦/٧). سنن الترمذي كتاب العلم باب الحث على تبليغ السماع (١٦٥٤،٣٤/٥) وصححه الشيخ الالباني في صحيحه وضعفه الترمذي (٢٦٥٧،١٥٧/٦) .

سابعاً: حب القرآن ، وكثرة قراءته، وفهم معانيه، والعمل بأحكامه.

حتى قالت عائشة- رضي الله عنها-: لما سئلت عن خلق النبي قالت: (كان خلقه القرآن) [(١)] أي كان دأبه التمسك به، والتأدب بآدابه، والعمل بما فيه، فجعلت عائشة - رضي الله عنها- القرآن نفس خلقه مبالغة في شدة تمسكه به، وأنه صار سجية له وطبيعة كأنه طبع عليها.

ويتمثل حب القرآن في كثرة تلاوته، فكثرة التلاوة تدل على حب القرآن والشغف به، وقد صح أن من يتعتع في قراءته له أجران فلا وجه لقصر محب القرآن على المقرئين فقط، وإضافة إلى كثرة تلاوته ودوام قراءته، العمل بما فيه من أحكام ومواعظ، ووعده ووعيده، وبيان أحوال أنبيائه وأوليائه وعاقبة أعدائه، وكذا التقيد بفهم معانيه[(٢)].

هذا والسنة مليئة بالحث على تعلم القرآن وإتباعه، فصح عن عثمان - رضي الله عنه - عن النبيﷺ قال: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) [(٣)] وصح عنهﷺ أنه قال: (كتاب الله - عز وجل - هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلاله) [(٤)] ويروى أن عثمان بن عفان- رضي الله عنه - قال: (لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله) [(٥)].

ثامناً: محبة سنته ﷺ:

(والذي يشمل: طريقه وهديه بالإقتداء به قولا وفعلا، وأحاديثه فيقف عند حدودها، وهي أوامرها و نواهيها) [(٦)] وأن يكثر من قراءتها فإن من دخلت حلاوة الإيمان في قلبه إذا سمع كلمة من كلام الله تعالى أو من حديث رسولهﷺ (تشربتها روحه وقلبه ونفسه)[(٧)] قال سهل بن عبدالله: علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب القرآن حب النبي ﷺ وعلامة حب النبيﷺ حب السنة، وعلامة حب السنة حب الآخرة.

---

(١) صحيح مسلم (١٦٨/٢).

(٢) شرح الشفاء للقاري (مطبوع بهامش نسيم الرياض) ج٣ ص ٣٦٨ -٣٦٩.

(٣) صحيح البخاري (١٩١٩/٤).

(٤) صحيح مسلم (١٨٧٣/٤).

(٥) شرح المواهب (١٤٣/٩،١٤٢).

(٦) انظر المصدر السابق (١٤٦/٩).

(٧) المصدر السابق (١٤٧/٩، ١٤٦).

تاسعاً: محبته لمن أحب النبي ﷺ.

(ومن هو بسببه من آل بيتة وحمايته من المهاجرين والأنصار، وعداوة من عاداهم، وبغض من يبغضهم وسبهم، فمن أحب شيئاً أحب من يحب)[(١)]

فعن زيد بن رقمه –رضي الله عنه – قال: قام رسول اللهﷺ فينا خطيباً بما يدعي (ضما) بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى علية، ووعظ وذكر ثم قال: أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي[(٢)].ومن آل بيته أزواجه –رضي الله عنهن –.

قال البهيقي: ويدخل في جمله حب النبي ﷺ حب أصحابة؛ لأن الله – عز وجل – أثنى عليهم ومدحهم فقال: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴾[(٣)] وغيرها من الآيات[(٤)].

عاشراً: بغض من أبغض الله ورسوله ﷺ، ومعاداة من عاداه.

ومجانبة من خالف سنته وابتدع في دينة واستثقال كل أمر يخالف شريعته[(٥)] قال تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ

(١) المرجع السابق (٢٦/٢).

(٢) رواه مسلم ،كتاب فصائل الصحابة ، باب من فضائل على بن أبي طالب رقم (٢٤٠٨)

(٣) سورة الفتح، آية (٢٩).

(٤) انظر شعب الإيمان ٢٨٧/١.

(٥) الشفاء (٢٧/٢).

﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [(١)].

وهؤلاء أصحابه (قد قتلوا أحباءهم وقاتلوا آباءهم وأبناءهم في مرضاته، وقال له عبدالله بن عبد الله بن أبي: لو شئت لأتيتك برأسه -يعني أباه-) [(٢)].

وفي نهاية هذا الفصل تطرقنا إلى أهمية محبة النبي ﷺ في القرآن الكريم وفي السنة النبوية فالواجب أن يكون الرسول ﷺ أقرب وأولى للمسلم من نفسه وأهله وماله فلا يقوم مراده على مراد رسول الله ولايعارض بقوله قوله رسول الله محبة له وإجلالاً ، فمحبة الرسول ﷺ تابع لمحبة الله – عز وجل- وذلك لأن محبة الله تعالى هي أساس المحبة الشرعية لأن الله هو المحبوب لذاته ومن لوازم محبته محبة أنبيائه وملائكته وعباده الصالحية وان الله اختاره وجعله خاتم النبيين وافضل خلقه وجعل من ذلك مظاهر لمحبته فطاعة الرسول ﷺ واتباع هدية مظهر من مظاهر المحبة وتعظيم النبي ﷺ وتوقيره والأدب معه مظهر ، والإقتداء مظهر والعمل بالسنة مظهر ، والتخلق بأخلاقه مظهر وكثرة ذكره ونصرة دينه والذب عن شريعته والشوق إلى لقائه وحب القرآن والسنة ومحبة ما أحبه الرسول ﷺ وبغض ما ابغض كلها من مظاهر محبة النبي ﷺ .

---

(١) سورة المجادلة، آية (٢٢).

(٢) الشفا (٢/٢٨،٢٧).

الفصل الثاني: الغلو في محبة النبي ﷺ

ويشتمل على ستة مباحث:

- المبحث الأول : الفرق بين الغلو والمحبة والجفاء في النبي ﷺ.
- المبحث الثاني : نشأة الغلو في محبة النبي ﷺ.
- المبحث الثالث : موقف الإسلام من الغلو في النبي ﷺ.
- المبحث الرابع : مظاهر الغلو في المحبة النبي ﷺ.
- المبحث الخامس: أنواع الغلو في محبة النبي ﷺ.
- المبحث السادس: أسباب الغلو في محبة النبي ﷺ.

المبحث الأول

الفرق بين الغلو والمحبة والجفاء في النبي ﷺ.

إن الفرق شاسع بين الغلو والمحبة والجفاء فبينهما تباعد واختلاف وتباين شديد، حيث إن المحبة وسط بين طرفين هما (الجفاء) و(الغلو) وكثير من الناس يقع بين الإفراط والتفريط . ولهذا قال ابن القيم – رحمه الله – (ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان: إما إلى تفريط وإضاعة، وإما إلى إفراط وغلو، ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه، كالوادي بين جبلين، والهدى بين ضلالتين، والوسط بين طرفين ذميمين، فكما أن الجافي عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مضيع له، فالغالي فيه مضيع له، هذا بتقصيره عن الحد وهذا بتجاوز الحد).

وعلى هذا نجد أن الناس بعد صحابة رسول الله ﷺ قد انقسموا في محبته إلى ثلاثة أقسام:

١- أهل غلو.

٢- أهل جفاء.

٣- أهل محبة صادقة الذين توسطوا بين ذلك بلا إفراط ولا تفريط.

فأهل الغلو: منهم الذين بالغوا في محبته ﷺ بابتداعهم أمورا لم يشرعها الله ورسوله ظنا منهم أن فعل هذه الأمور علامة المحبة وبرهانها كالاحتفال بمولده والمبالغة في مدحه لدرجة إشراكه في صفات خاصة لله – عز وجل – ، وهؤلاء ينبغي أن يعلموا أن محبة رسول الله ﷺ لا تكون بالغلو فيه، بل بتصديقه فيما أخبر به عن الله، وطاعته فيما أمر به ومتابعته ومحبته وموالاته.

أما أهل الجفاء: وهم المقصرون في حق النبي ﷺ فلم يقدموا حبه على حب النفس والأهل والمال والولد، ولم يعزروه ويوقروه ويتبعوا سنته، والسبب في ذلك يعود إلى:

١- جهل الكثير منهم بأمور دينهم بما فيها الحقوق الواجبة له والتي من ضمنها محبته فهؤلاء يجب عليهم أن يتعلموا أمور دينهم بما فيها الحقوق الواجبة له).

٢- إعراض هؤلاء عن سنة نبيهم ﷺ وعن إتباع شرعه؛ بسبب ما هم عليه من المعاصي، وإسرافهم على أنفسهم، وتقديمهم شهوات أنفسهم وأهوائهم على ما جاء في الشرع من الأوامر والنواهي.

فالواجب على هؤلاء الإقلاع عن الذنوب والمعاصي التي هي سبب نقصان إيمانهم وضعف محبتهم وبعدهم عما يقربهم إلى الله تعالى.

وأما الذين توسطوا: بين الإفراط والتفريط فهؤلاء هم السلف الصالحين من الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم من الذين آمنوا بوجوب هذه المحبة حكماً وقاموا بمقتضاها اعتقادا وقولاً وعملاً، فأحبوا النبي ﷺ فوق محبة النفس والولد والأهل وجميع الخلق امتثالا لأمر الله وأمر رسوله فجعلوه أولى بهم تصديقا ؛ لقوله تعالى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴾[١] وقاموا بمقتضى هذه المحبة فآمنوا وصدقوا بنبوته ورسالته وما جاء به عن ربه – عز وجل –، واعتقدوا أنه ليس من المحبة في شيء الغلو في حقه وقدره، ووصفه بأمور اختص الله بها وحده ، بل علموا أن في هذا مخالفة ومضادة لتلك المحبة ومناقضة لما أخبر به سبحانه وتعالى[٢] .

(١) سورة الأحزاب ، آية (٦).

(٢) انظر محبة النبي وتعظيمه فهد عبد الله الحبيشي (/ ٥).

المبحث الثاني

نشأة الغلو في محبة النبي ﷺ

الناظر إلى نشأة الغلو في محبة النبي ﷺ يجد أنها نشأت أول ما نشأت مع الشيعة، فهم أول من فتح باب الغلو في الأشخاص، وذلك بغلوهم في علي رضي الله عنه وذريته حتى ذهبوا في ذلك مذاهب شتى، فمنهم من ادعى أن علياً وذريته معصومون، ومنهم من ادعى أن علياً كان نبياً، ومنهم من غلا فيه حتى ادعى أنه إله وأن روح الإله حلت فيه، وفي الأئمة من ذريته[١] ولما كان علي رضي الله عنه ابن عم رسول الله ﷺ وزوج ابنته، ووصيه وخليفته من بعده – على مذهبهم- كان طبعياً أن يبتدأ غلوهم من رسول الله ﷺ ويأخذ دور التسلسل إلى علي رضي الله عنه والأئمة من ذريته، لذلك نجد لدى غلاة الشيعة عقائد باطلة تدور حول أزلية وجود الرسول ﷺ وأسبقيته على الكون وأنه ليس كسائر البشر، بل هو مخلوق من نور.

وقد روى الكليني[٢] نصاً منسوباً زوراً وبهتاناً إلى جعفر الصادق يدور حول أزلية وجود النبي ﷺ أو ما يطلق عليه الصوفية الحقيقة المحمدية أو النور المحمدي.

يقول النص على لسان جعفر الصادق: (كنا عند الله وليس عنده أحد سوانا لا ملك ولا غيره ثم بدا له فخلق السماوات والأرض فخلق ونحن معه . . . . ونصب الخلق في صورة كالهباء قبل دخول الأرض ورفع السماء، وهو في انفراد ملكوته، وتوحيد جبروته، وأتاح نورا من نوره فلمع، ونزع قبسا من قبسه فسطع، ثم اجتمع النور في وسط تلك الصورة الخفية فوافق ذلك صورة نبينا محمد ﷺ فقال الله عز من قائل أنت المختار والمنتخب وعندك مستودع نوري وكنوز هدايتي، من أجلك أسطح البطحاء، وأموج الماء، وأرفع السماء، وأجعل

---

(١) انظر عقائد الشيعة في مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ص٥ المؤلف : علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن الناشر : دار إحياء التراث العربي.

(٢) هو أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني (٣٢٨ هـ) من كبار فقهاء الشيعة الإمامية وله كتاب الكافي جمع فيه أحاديث الشيعة وهو عندهم بمنزلة صحيح البخاري عند أهل السنة . وقد جمع فيه من الشناعات والطامات والافتراءات على أهل البيت ما لا يعلمه إلا الله.

الثواب والعقاب والجنة والنار، وأنصب أهل بيتك للهداية، وأوتيهم من مكنون علمي ما لا يشكل به عليهم دقيق، ولا يغيب عنهم به خفي، وأجعلهم حجتي على بريتي والمنبهين على قدرتي ووحدانيتي . . ولم يزل الله تعالى يخبئ النور تحت الزمان إلى أن وصل محمد في ظاهر الفترات، فدعا الناس ظاهراً وباطناً. . . ثم انتقل النور إلى غرائزنا، ولمع في أئمتنا فنحن أنوار السماء وأنوار الأرض، فبنا النجاة، ومنا مكنون العلم، وإلينا مصير الأمور وبمهدينا تنقطع الحجج، خاتم الأئمة، منقذ الأمة، وغاية النور ومصدر الأمور) [(١)].

ويعد الحلاج [(٢)] أول صوفي اشتهر عنه الغلو في الرسول ﷺ منطلقا من مذهبه في حلول الإله في الإنسان. وهو في هذا يشبه النصارى في غلوهم في عيسى عليه السلام.

ومما ينبغي أن يلاحظ في هذا الشأن أن غلو الحلاج في الرسول ﷺ لم يكن نابعا من حبه له. وإنما كان هدفه من وراء ذلك الغلو ادعاؤه للألوهية، وتصريحه بحلول الله فيه، ودعوة أتباعه إلى عبادته، طالما أن حلول الإله مستمر في الأولياء بعد الأنبياء بزعمه.

ولذلك حكم عليه فقهاء عصره بردته وإهدار دمه وقتله جزاء وفاقا لكفره وزندقته. وكان مقتل الحلاج تحولاً كبيرا في من أتى بعده من الصوفية عامة وغلاتهم خاصة، وتمثل ذلك في :

- استتارهم بمذهبهم، ومحاولة إخفاء حقيقته عن عامة المسلمين.
- اتخاذ الغلو في الرسول ﷺ ذريعة إلى نشر العقائد الهدامة في صفوف الأمة بدعوى محبة الرسول ﷺ.

---

(١) الفلسفة الصوفية في الإسلام . د . عبد القادر محمود ، ط ١ ، دار الفكر العربي ، مصر ١٩٦٧م ، ص ٥٧٩- ٥٨٠ نقلا عن الكافي ، ص ٢٧٦.

(٢) أبو عبد الله حسين بن منصور الحلاج ولد عام (٨٥٨-٢٤٤)هـ من أهل البيضاء وهي بلدة بفارس، نشأ بواسط والعراق،يعد من أكثر الرجال الذين اختلف في أمرهم، فجماهير علماء السنة اجمعوا على تكفيره وتبديعه ورميه بالسحر والشعوذة ونسبه إلى مذهب القرامطة الإسلامية، وهناك من وافقوه وفسروا مفاهيمه. لقي مصرعه عام (٩٢٢-٣٠٩)هـ مصلوباً بباب خراسان بسبب زندقته تنفيذاً لأمر الخليفة المقتدر في القرن الرابع الهجري.

وكذلك كان (ابن عربي[1] من أكبر السائرين على درب الحلاج في محاولة الخروج على الإسلام[2].

(١) محي الدين محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي الطائي الأندلسي ، ولد في مرسية في الأندلس عام ٥٥٨-١١٦٤م ،يعد من أشهر المتصوفين،لقبه أتباعه وغيرهم من الصوفية" بالشيخ الأكبر"، ولذا ينسب إليه الطريقة الأكبرية الصوفية .من أهم مؤلفاته:تفسير ابن عربي، والفتوحات المكية،وفصوص الحكم ,الذي أثار جدلاً كبيرا في وقته،توفي سنة ٦٣٨هـ الموافق سنة ١٢٤٠م ودفن في سفح جبل قاسيون في دمشق.

(٢) محبة الرسول بين الاتباع والابتداع (/٢١٧ و ٤٣٧).

المبحث الثالث

موقف الإسلام من الغلو في النبي ﷺ.

إذا نظرنا إلى موقف الإسلام من ناحية الغلو في النبيﷺ نجد أن الله – عز وجل – قد نهى عن الغلو بصفة عامة فقال: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾[1].

وقال: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾[2].

قال ابن القيم– رحمه الله –: (ومن أسباب عبادة الأصنام الغلو في المخلوق، وإعطاؤه فوق منزلته،حتى جعل فيه حظ من الإلهية، وشبهوه بالله سبحانه، وهذا هو التشبيه الواقع في الأمم الذي أبطله الله سبحانه، وبعث رسله وأنزل كتبه بإنكاره والرد على أهله)[3].

وقد حذر النبيﷺ من الغلو في الدين كما ورد عن ابن عباس– رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ: (إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين)[4].

---

(١) سورة النساء ، آية (١٧١).

(٢) سورة المائدة ، آية (٧٧).

(٣) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (٢ / ٢٢٦)محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله دار المعرفة – بيروت ط ٢ ، ١٣٩٥ – ١٩٧٥ تحقيق : محمد حامد الفقي.

(٤) مسند عبد الله بن العباس رواه أحمد في مسنده ٢١٥٥/١, ٣٤٧ ا والنسائي كتاب الحج باب التقاط الحصى (٢٦٨/٥،٣٠٥٧) وصححه الالباني في صحيحه وضعيف سنن النسائي (١٢٩/٧) برقم (٣٠٥٧) في السنن ٢٦٨/٥ ٩٨ وقال شيخ الإسلام في اقتضاء الصراط ٢٩٣/١ صحيح على شرط مسلم.

وهذا التحذير من الغلو عام في جميع أنواع الغلو فيشمل الاعتقادات والأعمال كما قال شيخ الإسلام – رحمه الله–، ولهذا كانت الوسطية مما تميز به هذا الدين عن غيره من الأديان التي دخلها التحريف فسار بعضها مشرقا وبعضه الآخر مغربا، ونرى بجلاء هذا التوسط والاعتدال في جوانب شتى منها عقيدة الإيمان بالأنبياء، فاليهود كذبوا الرسل وعذبوهم وقتلوهم، والنصارى غالوا فيهم لدرجة رفع بعضهم إلى مرتبة الإلهية، ولهذا حذر الله من هذا الغلو ونسبه إلى أهل الكتاب كما في الآيات السابقة.

ولخطر الغلو في الأنبياء وخاصة نبينا محمد ﷺ نجد أن القرآن ذكره بصفة العبودية في عدة آيات فقال: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[1]. وقال: ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾[2].

كما حذر النبي ﷺ أمته من الغلو فيه والتجاوز في إطرائه ومدحه. ففي صحيح البخاري من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده ورسوله، فقولوا: عبد الله ورسوله)[3]. والإطراء: هو المدح بالباطل ومجاوزة الحد في المدح ذكره ابن الأثير. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فراجعه في بعض الكلام فقال: ما شاء الله وشئت! فقال رسول الله ﷺ: (أجعلتني لله ندًّا بل قل : ما شاء الله وحده)[4].

وفي صحيح مسلم عن جندب بن عبد الله البجلي قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يَموت يقول: (ألاَ وإنَّ مَن كان قبلكم كانوا يتَّخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإنِّي أنهاكم عن ذلك)[5] وهذه الأحاديث من أعظم ما يدل عَلَى حرص النبي ﷺ عَلَى حماية جناب التوحيد، وسده لكل ذريعة توصل إِلَى الشرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بأي صورة من الصور.

---

(١) سورة الإسراء ، جزء الآية (١).

(٢) سورة النجم ، الآية (١٠).

(٣) صحيح البخاري برقم (٣٤٤٥) ، وبنحوه الإمام أحمد في المسند : ١ / ٢٣.

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند : ١ / ٢١٤ ، وبنحوه رواه ابن ماجه في السنن برقم (٢١١٧).

(٥) صحيح مسلم (٥٣٢)، وفيه: ((قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد)).

فحذر النبي ﷺ من الغلو فيه وإنزاله فوق منزلته، مما يختص به الرب – عز وجل –. وفي هذا تنبيه إلى غير ما ذكر من أنواع الغلو فإن الغلو في النبي ﷺ محرم بشتى صوره وأشكاله.

ولما كان حال الغلو هو الأكثر خطرا على اتباع الرسل، فقد جاء التنبيه والتأكيد على بشريتهم في مواطن متعددة في كتاب الله العزيز منها:

١– التأكيد على بشرية الرسول وعبوديته لله تعالى:

قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَـٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾[5].

---

(١) سورة آل عمران ، جزء الآية (٧٩).

(٢) سورة الكهف ، الآية (١١٠).

(٣) سورة الإسراء ، جزء الآية (٩٣).

(٤) سورة الإسراء ، جزء الآية (١).

(٥) سورة البقرة ، آية (٢٣).

وقال تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾[5].

وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[6].

٢- التأكيد على أن الرسل لا يملكون شيئا من خصائص الألهية والربوبية:

قال تعالى ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾[7].

وقال تعالى: ﴿ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا

(١) سورة الأنفال ، آية (٤١).
(٢) سورة الكهف ، آية (١).
(٣) سورة الفرقان ، آية (١).
(٤) سورة النجم، آية (١٠).
(٥) سورة الحديد، آية (٩).
(٦) سورة الفرقان، آية (٢٠).
(٧) سورة الأنعام ، آية (٥٠).

تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ فَقُلۡ إِنَّمَا ٱلۡغَيۡبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿ قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ﴾[5].

وقال تعالى: ﴿ لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ ﴾[6].

وقال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَلَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴾[7].

وقال تعالى: ﴿ قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾[8].

---

(١) سورة الأنعام ، آيات (٥٨-٥٩).

(٢) سورة الأعراف ، آية (١٨٨).

(٣) سورة يونس ، آية (٢٠).

(٤) سورة هود ، آية (٣١).

(٥) سورة الجن ، آية (٢١).

(٦) سورة آل عمران ، آية (١٢٨).

(٧) سورة يونس ، آية (٤٩).

(٨) سورة الأحقاف ، آية (٩).

٣- التنبيه على ما كان من حال النصارى مع عيسى عليه السلام وبيان كفرهم في ذلك:

قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[2].

٤- بيان كفر من رفعهم إلى درجة الربوبية:

قال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾[3].

---

(١) سورة المائدة ، آية (١٧).

(٢) سورة المائدة ، آيات (٧٢-٧٧).

(٣) سورة آل عمران ، آية (٨٠).

وبجانب هذا التأكيد على بشرية الرسل والتحذر من رفعهم فوق مكانتهم التي أعطاهم الله إياها ووصفهم بما ليس لهم حق فيه.

أكد الإسلام وجوب الإيمان بهم وإكرامهم ورفع درجتهم وجعلهم في مكانة ومنزلة سامية. فأوجب الإيمان بهم.

قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[(١)].

قال ابن كثير–رحمه الله – عند تفسيره لهذه الآية: فالمؤمنون يؤمنون بأن الله واحد، فرد صمد، لا إله غيره ولا رب سواه، ويصدقون بجميع الأنبياء والرسل والكتب المنزلة من السماء على عباد الله المرسلين والأنبياء، لا يفرقون بين أحد منهم، فيؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، بل الجميع عندهم صادقون بارون راشدون، مهديون هادون إلى سبيل الخير، وإن كان بعضهم ينسخ شريعة بعض بإذن الله حتى نسخ الجميع بشرع محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين الذي تقوم الساعة على شريعته، ولا تزال طائفة من أمته على الحق ظاهرين.

وفي مقابل ذلك فقد عد تكذيب واحد منهم كفرًا، ولو ادعى الإيمان بالله ورسله جميعاً إلا ذلك، فإيمان من هذا حاله إيمان زائف لا وزن له ولا خير فيه، وصاحبه موسوم بالكفر.[(٢)]

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٥٢﴾ ﴾[(٣)].

(١) سورة البقرة ، آية (٢٨٥).

(٢) تفسير ابن كثير (٣٤٢/١).

(٣) سورة النساء ، آيات (١٥٠-١٥١-١٥٢) .

يتوعد تبارك و تعالى الكافرين به وبرسله من اليهود والنصارى، حيث فرقوا بين الله ورسله في الإيمان، فآمنوا ببعض الأنبياء وكفروا ببعض، بمجرد التشهي والعادة، وما ألفوا عليه آباءهم، لا عن دليل قادهم إلى ذلك، فإنه لا سبيل لهم إلى ذلك بل بمجرد الهوى والعصبية. فاليهود – عليهم لعائن الله – آمنوا بالأنبياء إلا عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، والنصارى آمنوا بالأنبياء وكفروا بخاتمهم وأشرفهم محمد ﷺ ، والسامرة لا يؤمنون بنبي بعد يوشع خليفة موسى بن عمران، والمجوس يقال: إنهم كانوا يؤمنون بنبي لهم يقال له زرادشت، ثم كفروا بشرعه ، فرفع من بين أظهرهم، والله أعلم.

والمقصود أن من كفر بنبي من الأنبياء، فقد كفر بسائر الأنبياء، فإن الإيمان واجب بكل نبي بعثه الله إلى أهل الأرض، فمن رد نبوته للحسد أو العصبية أو التشهي تبين أن إيمانه بمن آمن به من الأنبياء ليس إيمانا شرعيا، إنما هو عن غرض وهوى وعصبية؛ ولهذا قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾ فوسمهم بأنهم كفار بالله ورسله﴿ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾ أي: في الإيمان ﴿ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾أي: طريقا ومسلكا.

ثم أخبر تعالى عنهم، فقال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ ﴾ أي: كفرهم محقق لا محالة بمن ادعوا الإيمان به؛ لأنه ليس شرعيا، إذ لو كانوا مؤمنين به لكونه رسول الله لآمنوا بنظيره، وبمن هو أوضح دليلا وأقوى برهانا منه، لو نظروا حق النظر في نبوته.

وقوله: ﴿ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴾ أي: كما استهانوا بمن كفروا به إما لعدم نظرهم فيما جاءهم به من الله، وإعراضهم عنه وإقبالهم على جمع حطام الدنيا مما لا ضرورة بهم إليه، وإما بكفرهم به بعد علمهم بنبوته، كما كان يفعله كثير من أحبار اليهود في زمان رسول الله ﷺ حيث حسدوه على ما آتاه الله من النبوة العظيمة، وخالفوه وكذبوه وعادوه وقاتلوه، فسلط الله عليهم الذل الدنيوي الموصول بالذل الأخروي: ﴿ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ في الدنيا والآخرة.

وقوله :﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ ﴾ يعني بذلك: أمة محمد ﷺ فإنهم يؤمنون بكل كتاب أنزله الله وبكل نبي بعثه الله، كما قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ

أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾

ثم أخبر تعالى بأنه قد أعد لهم الجزاء الجزيل والثواب الجليل والعطاء الجميل، فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْۗ ﴾ على ما آمنوا بالله ورسله ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ أي: لذنوبهم أي: إن كان لبعضهم ذنوب[1] .

قال ابن كثير – رحمه الله – عند تفسيره لهذه الآية: والمقصود أن من كفر بنبي من الأنبياء فقد كفر بسائر الأنبياء، فإن الإيمان واجب بكل نبى بعثه الله إلى أهل الأرض فمن رد نبوته للحسد أو العصبية أو التشهي تبين أن إيمانه بمن آمن به.

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٤٥)

المبحث الرابع

مظاهر الغلو في المحبة النبي ﷺ.

إن المحبة للنبي ﷺ يجب أن توافق ما يحبه، وكذلك كره ما يكرهه، أي بتحقيق المتابعة له ، فيحب بقلبه ما أحب الرسول ﷺ، ويكره ما يكره، ويرضى بما يرضى، ويسخط ما يسخط ، ويعمل بجوارحه بمقتضى هذا الحب .

فبرغم الآيات البينات والبراهين الواضحات والتي ذكرتها في المبحث السابق تبين وتفصل بين ما هو حق للرسول وما ليس له بحق، وما يملكه الرسول وما لا يملكه وأمثالها في القرآن الكريم كثير جدا.

يأبى أناس إلا معصية الله ورسوله ومخالفة ما جاءت به النصوص؛ إتباعا لأهوائهم وسلوكاً لسبيل الشيطان، فقد غلوا في حق النبي ﷺ وتنوع غلوهم وتفاوت حتى وصل في كثير من أنواعه إلى درجة الإشراك بالله تعالى.

وسأذكر في هذا الفصل نماذج من هذا الغلو الحاصل مع الإشارة إلى وجه مخالفتها للنصوص الشرعية والرد عليها، فمن مظاهر الغلو في النبي ﷺ ما يلي:

أ – ما يسمى بـ (الحقيقة المحمدية)[1] :

وهي أسطورة من أساطير الصوفية، نسجها خيالهم المريض، وأوهامهم الفاسدة، فهي كذبة ليس لها رصيد من الواقع، بل هي مناقضة تمامًا لما أخبر به الله تعالى وقرره في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ. أما عن فحوى هذه الأسطورة فيقول قائلهم: لما تعلقت إرادة الحق تعالى بإيجاد خلقه أبرز الحقيقة المحمدية من أنواره ،ثم سلخ منها العوالم كلها علوها وسفلها ... ثم انبخست منه ﷺ عيون الأرواح، فهو الجنس العالي على جميع الأجناس، والأب الأكبر لجميع الموجودات[2] .

(١) حقوق النبي ﷺ على أمته في ضوء الكتاب والسنة (٢ / ٧١١).

(٢) الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية (ص ٩) ، يوسف النبهاني، ص١، المطبعة الأدبية، بيروت، ط١٨٩٢.

ويقول آخر: (أنوار المكونات كلها من عرش وفرش وسماوات وأراضين وجنات وحجباً وما فوقها وما تحتها إذا اجتمعت كلها وجدت بعضاً من نور النبيﷺ، وأن مجموع نوره لو وضع على العرش لذاب، ولو وضع على الحجب السبعين التي فوق العرش لتهافتت، ولو جمعت المخلوقات كلها ووضع ذلك النور العظيم عليها لتهافتت وتساقطت)[١].

وفي هذا يقول شاعرهم:

أنشاك نوراً ساطعا قبل الورى
فرداً لفرد، والبرية في عدم

ثم استمد جميع مخلوقاته
من نورك السامي، فيا عظم الكرم

فلذا إليك الخلق تفزع كلهم
في هذه الدنيا، وفي اليوم الأهم

وإذا دعتهم كربة فرجتها
حتى سوى العقلاء في ذاك انتظم[٢]

وهذا الزعم الباطل تضمن ثلاث دعاوى كلها كذب وافتراء.

الدعوى الأولى: دعوى أن النبي ﷺ خلق من نور رب العالمين.

الدعوى الثانية: أنه وجد قبل خلق آدم.

الدعوى الثالثة: أن الأشياء خلقت منه.

وكل دعوى من هذه الدعاوى هي أكذب من أختها، وقد قال بها جميعًا بعض الغلاة المنتسبين إلى الإسلام مضاهاة لقول النصارى في عيسى، ويروون في ذلك أحاديث، وكلها

(١) هذه هي الصوفية (ص ٨٧) عبد الرحمن الوكيل . ط ٣ دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٩ هـ.

(٢) الأبيات لأحمد بن عبد المنعم الحلواني من قصيدته المستجيرة (نقلا عن كتاب هذه الصوفية) (ص ٨٧).

كذب، فمن هؤلاء الغلاة من يروى عن النبي ﷺ أنه قال: (من قال إني كلي بشر فقد كفر، ومن قال لست ببشر فقد كفر) وهذا الحديث كذب باتفاق أهل العلم بالحديث[١].

ومنهم من يروى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: "قلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي أخبرني عن أول شيء خلقه الله تعالى قبل الأشياء؟ قال: يا جابر إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جني ولا إنسي، فلما أراد أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول القلم، ومن الثاني اللوح، ومن الثالث العرش، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول حملة العرش، ومن الثاني الكرسي ومن الثالث باقي الملائكة، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء، فخلق من الأول السموات، ومن الثاني الأراضين ومن الثالث الجنة والنار، ثم قسم الرابع أربع أجزاء فخلق من الأول أبصار المؤمنين ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله تعالى ومن الثالث نور أنسهم وهو التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله[٢].

وهذا الحديث باطل قال عنه السيوطي: (ليس له إسناد يعتمد عليه)[٣].

ولا يخفي على من له أدنى معرفة بنصوص القرآن والسنة ما في هذا الخبر المكذوب من المخالفات والمغالطات، ولا يشك طالب علم في وضعه واختلاقه. وكذلك مما يرونه "كنت نبيًا ولا آدم ولا ماء ولا طين")[٤]،قال شيخ الإسلام ابن تيمية: هذا مما لا أصل له لا من نقل ولا من عقل فإن أحدًا من المحدثين لم يذكره، ومعناه باطل فإن آدم لم يكن بين الماء والطين قط ، فإن الطين ماء وتراب، وإنما كان بين الروح والجسد.

---

(١) انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢/ ٢٠٠- ٢٠١) المؤلف : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس الناشر : دار العاصمة – الرياض الطبعة الأولى ، ١٤١٤ تحقيق : د.علي حسن ناصر, د.عبد العزيز إبراهيم العسكر , د. حمدان محمد.

(٢) الأنوار المحمدية (ص ١٣).

(٣) الحاوي للفتاوى (١/ ٣٢٥) لجلال الدين السيوطي تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ط ٢ . مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٩ م.

(٤) حديث مرفوع ،قَالَ السَّخَاوِيُّ : لَمْ أَقِفْ عَلَيْهِ بِهَذَا اللَّفْظِ ، وَقَالَ الزَّرْكَشِيُّ : لَا أَصْلَ لَهُ بِهَذَا اللَّفْظِ ، وَلَكِنَّ فِي التِّرْمِذِيِّ : مَتَى كُنْتُ نَبِيًّا ؟ ، قَالَ " : وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ " قَالَ السُّيُوطِيُّ : وَزَادَ الْعَوَامُ " : وَلَا آدَمَ وَلَا مَاءَ وَلَا طِينَ " ، وَلَا أَصْلَ لَهُ أَيْضًا. ينظر(الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة)، نور الدين علي بن محمد الملا الهروي تحقيق محمد الصباغ ص٢٦٩،٢٦٨ ، ط الثانية ، المكتب الإسلامي – بيروت .

ثم هؤلاء الضلال يتوهمون أن النبي ﷺ كان حينئذ موجوداً وأن ذاته خلقت قبل الذوات، ويستشهدون على ذلك بأحاديث مفتراة مثل حديث فيه (أنه كان نورًا حول العرش، فقال: يا جبريل أنا كنت ذلك النور)[١].

ومن العجيب أن كثيرا من الناس صاروا يتناقلون مثل هذه الأخبار المفتراة حتى أصبحت عندهم عقيدة راسخة في قلوبهم.

ومما يبين كذب هذه الدعاوى ويظهر زيفها مخالفتها لنصوص الكتاب والسنة.

فقد أخبرنا -عز وجل- عن أصل ما خلق منه الإنس والجن فقال تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّـارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّـارٍ ﴿١٥﴾ ﴾[٢].

والنبي ﷺ بشر خلق مما خلق منه باقي البشر فلا ميزة له في هذا الشأن عن باقي البشر

قال تعالى: ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾[٣].

والآيات في هذا الشأن، وفي شأن خلق السموات والأرض وكذا الأحاديث الثابتة كثيرة ، وكلها تخالف هذا الخبر المذكور وتبين زيفه وبطلانه.

ب – دعوى أن الدنيا خلقت من أجل النبي ﷺ:

وفي هذا يقول قائلهم:

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من لولاه لم تخرج الدنيا من العدم[٤].

وقول الآخر:لولاه ما خلقت شمس ولا قمر ولا نجوم ولا لوح ولا قلم[٥].

---

(١) الرد على البكري (ص ٨- ٩) (تخليص كتاب الاستغاثة) لتقي الدين بن تيمية – ط المطبعة السلفية مصر- ١٣٤٦ هـ.

(٢) سورة الرحمن ، آيات (١٤-١٥).

(٣) سورة الأحقاف ، آية (٩).

(٤) ديوان البوصيري (ص ٢٤٠). لأبي عبد الله محمد بن سعيد بن حماد البوصيري تحقيق محمد سيد كيلاني . مطبعة مصطفى الحلبي مصر ١٣٧٤ هـ.

(٥) انظر في هذا الشأن رسالة تنبيه الحذاق على بطلان ما شاع بين الأنام من حديث النور المنسوب لمصنف عبد الرزاق (ص ٢٧).

ويستند هؤلاء على أحاديث موضوعة وأخبار مكذوبة منها حديث (لولاك ما خلقت الأفلاك) وهو موضوع[1] . وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أوحى الله إلى عيسى يا عيسى آمن بمحمد، وأمر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به، فلولا محمد ما خلقت آدم، ولولا محمد ما خلقت جنة ولا نار ...[2] .

وهذه الأحاديث الموضوعة وأمثالها لا يمكن أن يعول عليها في إثبات أمر شرعي كهذا ، أضف إلى ذلك مخالفتها للشرع فالذي تدل عليه النصوص الشرعية أن الله -عز وجل- إنما خلق الجن والإنس لغاية ذكرها في القرآن الكريم حيث قال – عز وجل – ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[3] .

قال ابن كثير – رحمه الله – : (ومعني الآية أنه تبارك وتعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له، فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء، ومن عصاه عذبه أشد العذاب)[4] .

وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[5]، وقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾[6] .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[7] .

---

(١) قاله الصغاني في الأحاديث الموضوعة (ص ٧)، وانظر الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني (ص ٣٢٦) وسلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني رقم ٢٨٢.

(٢) لا أصل له مرفوعًا إنما أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦١٤، ٦١٥) من طريق عمرو بن أوس الأنصاري ثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال: فذكره موقوفا وقال: "صحيح الإسناد" وتعقبه الذهبي بقوله "أظنه موضوعًا على سعيد".يعني : سعيد بن أبي عروبة (أحد رواة هذا الحديث) ، وقد روى هذا الحديث عنه عمرو بن أوس الأنصاري وهو المتهم بوضع هذا الحديث ، وقد ذكره الذهبي في "الميزان" وقال : أتى بخبر منكر ، ثم ساق هذا الحديث ، وقال : وأظنه موضوعاً. ووافقه الحافظ ابن حجر كما في "اللسان" . وقال الألباني في "السلسلة الضعيفة" (٢٨٠) : لا أصل له.

(٣) سورة الذاريات ، آية (٥٦).

(٤) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٣٨)..

(٥) سورة هود ، آية (٧).

(٦) سورة الملك ، آية (٢).

(٧) سورة الكهف ، آية (٧).

فصرح جل وعلا في هذه الآيات المذكورة بأن حكمة خلقه للخلق هي اختبارهم وابتلاؤهم ليجزى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، فهذه هي الحكمة من خلقهم أولاً وبعثهم ثانيًا[1].

والنصوص من آيات وأحاديث كلها تؤكد هذا الأمر وتدل عليه، وفي الوقت نفسه تبطل ما زعمه الغلاة من أن الغاية من خلق الخلق هي من أجل محمد ﷺ.

فهذه الدعاوى يعرف بطلانها من له أدني بصيرة في نصوص الشرع، والنبي ﷺ قد أعطاه الله خصائص وفضائل كثيرة تدل على فضله ومكانته، فليس هو بحاجة إلى أن ترفع مكانته ويبين شرفة بمثل هذه الأخبار الباطلة الموضوعة.

ج . دعوى الغلاة: جواز صرف بعض جوانب العبادة له ﷺ :

وقد تفنن الغلاة في هذا (فمن قائل يقول: إنه يستغاث به في كل ما يستغاث فيه بالخالق ، بمعني أنه يطلب منه كما يطلب من الخالق، فهؤلاء جعلوا الرسول ﷺ يطلب منه الناس ما يطلبونه من الله تعالى، فآذوا الرسول ﷺ ، وأساؤ في حقه إذ سألوه ما لا يقدر عليه مخلوق، وساووه برب العالمين ، وسلطوا عليه العامة، فهذا يطلب منه إنزال المطر، وهذا يطلب منه غفران الذنوب ، وهذا يطلب منه النصر على الأعداء، وهذا يطلب منه أن يتزوج، وهذا يطلب منه الولد ، وهذا يطلب منه المعيشة ، وهذا يطلب منه الملك ، وهذا يطلب منه الولاية، وهذا يطلب منه قضاء دينه، وهذا يطلب منه شفاء مريضه إلى غير ذلك من الأمور، فنزلوا المخلوق منزلة الإله، وطلبوا منه من جلب المنافع ودفع المضار ما لا يقدر عليه إلا الله)[2].

ومن نظم بعضهم في هذا قوله:

يا أكرم الرسل ما لي من ألوذ به
سواك عند حلول الحادث العمم

ولن يضيق رسول الله جاهك بي

---

(١) انظر أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢٤/ ٥٣). للشيخ محمد الأمين الشنقيطي . مطبعة المدني . مصر.

(٢) الرد على البكري (ص ٣٣٥، ٣٣٦) بتصرف.

إذا الكريم تجلى باسم منتقم

فإن لي ذمة منه بتسميتي

محمدًا وهو أوفى الخلق بالذم

إن لم يكن في معادى آخذاً بيدي

فضلاً وإلا فقل يا زلة القدم

فنفى أن يكون له ملاذ إذا حلت به الحوادث، إلا النبي ﷺ، وليس ذلك إلا لله وحده لا شريك له، فهو الذي ليس للعباد ملاذ إلا إياه سبحانه وتعالى، ودعاه وناداه بالتضرع، وإظهار الفاقة، والاضطرار إليه ، وسأل منه هذه المطالب التي لا تطلب إلا من الله، وذلك الشرك في الإلهية[(١)] .

ومن شعر بعضهم قوله :

ماذا تعامل يا شمس النبوة من

أضحى إليك من الأشواق في كبدي

عليه السلام، إلا أن أولئك أطلقوا عليه اسم الإله، وهذا لم يطقه، ولكن أتى بلباب دعواهم وخلاصتها، وترك الاسم، إذ في الاسم نوع تمييز، فرأى الشيطان أن الإتيان بالمعني دون الاسم أقرب إلى ترويج الباطل، وقبوله عند ذوى العقول السخيفة، إذ كان من المتقرر عند الأمة المحمدية أن دعوى النصارى في عيسى عليه السلام كفر، فلو أتاهم بدعوى النصارى اسما ومعنى لردوه وأنكروه، فأخذ المعنى وأعطاه البرعي وإضرابه، وترك الاسم للنصارى وإلا فما ندرى ماذا أبقى هذا المتكلم الخبيث للخالق تعالى وتقدس من سؤال مطلب أو تحصيل مأرب، فالله المستعان[(٢)] .

ويقول صاحب المواهب اللدنية: "وينبغي للزائر –لقبره– أن يكثر من الدعاء والتضرع والاستغاثة، والتشفع والتوسل والتوجه به، فجدير بمن استشفع به أن يشفعه الله تعالى فيه،

---

(١) تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد (ص ١٨٧) المؤلف : سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب الناشر : مكتبة الرياض الحديثة – الرياض.

(٢) المرجع السابق (١٨٩، ١٩٠).

فإن كلا من الاستغاثة والتوسل والتشفع والتوجه للنبي ﷺ واقع في كل حال كل خلقه وبعده في مدة حياته في الدنيا وبعد موته في مدة البرزخ وبعد البعث في عرصات القيام"[1].

ومن هؤلاء من يرى أن زيارة قبر النبي ﷺ أفضل من الحج إلى الكعبة ، وأن دعاء النبي ﷺ والاستغاثة به أفضل من الاستغاثة بالله تعالى ودعائه[2].

ومنهم من يظن أن الرسول يعلم ذنوبه وحوائجه ، وإن لم يذكرها وأنه يقدر على غفرانها وقضاء حوائجه، ويقدر على ما يقدر عليه الله ويعلم ما يعلمه الله[3].

ومنهم من يقول (إن النبي ﷺ لا يخلو منه زمان ولا مكان) يريدون بذلك أنه ما من زمان إلا وهو فيه موجود، ولا من مكان إلا هو فيه موجود[4].

ومنهم من يقول: (إنه يحضر في كل مجلس أو مكان أراد بجسده وروحه وأنه يتصرف حيث شاء في أقطار الأرض وفي الملكوت، وهو بهيئته التي كان عليها قبل وفاته)[5].

ومنهم من يقول في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ۝٩ ﴾[6].

ومنهم من يقول: إن الرسول هو الذي يصبح بكرة وأصيلا[7].

(١) انظر الأنوار المحمدية (ص ٦٠٤).
(٢) الرد على البكري (ص ٣٤٩).
(٣) الرد على البكري (ص ٣٠).
(٤) غاية الأماني في الرد على النبهاني (١/ ٤٨) : الألوسي محمود شكري (ت ١٣٤٢هـ) دار إحياء السنة النبوية.
(٥) هذه هي الصوفية (ص ٨١).
(٦) سورة الفتح ، آيات (٨-٩).
(٧) سورة الفتح ، آيات (٨-٩).

ومنهم من يقول: اسقط الربوبية وقل في الرسول ما شئت.

دع مـــا ادعتـــه النصـــارى في نبـــيهم
واحكـم بمـا شـئت مـدحاً فيـه واحـتكم

وانسـب إلى ذاتـه مـا شـئت مـن شـرف
وانسـب إلى قـدره مـا شـئت مـن عظـم

فـــإن فضـــل رســـول الله لـــيس لـــه
حـــد فيعـــرب عنـــه نـــاطق بفـــم

لـــو ناســـبت قـــدره آياتـــه عظمـــاً
أحيـا اسمـه حـين يـدعى دارس الـرم[1]

ومنهم من يقول نحن نعبد لله ورسوله فيجعلون الرسول معبوداً[2].

بل لم يكتف غلاة الصوفية بهذا القدر حتى اعتقدوا أنه هو الله سبحانه ذاتاً وصفة[3]. وكتب أصحاب البدع وعباد القبور مملؤة بالكثير من أنواع هذا الغلو وألوانه والذي لا يشك الموحد بكذبه وبطلانه.

والرد على ذلك بأن من صرف شيئاً من أنواع العبادة كالدعاء والذبح والنذر والصلاة والاستغاثة والخوف والرجاء والتوكل ونحوها، لغير الله تعالى فقد أشرك بالله عز وجل.

وقد بين النبي ﷺ حقيقة الشرك وعظم جرمه، ففي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ : أيُّ الذنبِ أعظم عند الله؟ قال: "أن تجعل لله نداً وهو خلقك.." [4]. وفي الصحيحين عن أبي بكرة عن أبيه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور ... " [5].

---

(١) ديوان البوصيري (ص ٢٤١).

(٢) الرد على البكري (ص ٢١٩).

(٣) هذه هي الصرفية (ص ٧٤- ٧٥).

(٤) صحيح البخاري بشرح الفتح ١٦٣/٨ كتاب التفسير، باب قوله تعالى {فلا تجعلوا لله أنداداً} وصحيح مسلم ٩٠/١ كتاب الإيمان، باب كون الشرك أكبر الذنوب ... حديث رقم: ١٤١.

(٥) صحيح البخاري بشرح الفتح ٤٠٥/١٠ كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر ، وصحيح مسلم ٩١/١ كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها حديث رقم: ١٤٣.

فالشرك أكبر الكبائر وأعظم الذنوب، لأنه تنقص برب العالمين وانتهاك لحقه تبارك وتعالى، فقد ثبت في الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : "يا معاذ هل تدري ما حق الله على العباد؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنّ حق اللهِ على العباد أن يعبدُوهُ ولا يشرِكُوا به شيئاً ... "[1] .

وبذلك يتبين عدم جواز صرف شيء من العبادة لغير الله لا نبي مرسل ولا عبد صالح ولا أي مخلوق من مخلوقات الله لأنه شرك أكبر خرج من الإسلام .

---

(١) صحيح البخاري بشرح الفتح ٥٨/٦ كتاب الجهاد، باب اسم الفرس والحمار ، وصحيح مسلم ٥٨/١ كتاب الإيمان، حديث رقم: ٤٨.

د – اعتقاد أن زيارة قبره ﷺ واجبة :

سرى في أذهان كثير من الناس أن زيارة القبر النبوي واجبة، ويعتقد كثير منهم أنها مكملة لمناسك الحج، لا يتم الحج بدونها، والذي دفعهم إلى ذلك أمور منها:

- الجهل بأحكام الدين، ومراتب العبادات، حتى اختلط على كثير من الناس الواجب بالمندوب، والحرام بالمكروه، فاختل فهمهم للشرع بسبب الابتعاد عن علمه وفقهه.
- الاستدلال بعدة أحاديث ضعيفة وموضوعة في فضل زيارة قبر النبي ﷺ، ذكرها بعض الفقهاء والمؤلفين في المناسك، واشتهر ذكرها بين الناس، دون تمييز بين الصحيح والضعيف ، فكان لهذه الأحاديث أثرها في اعتقاد كثير من الناس وجوب الزيارة ، ومن هذه الأحاديث :

(أ) (من زار قبري وجبت له شفاعتي)[(١)]، وهذا حديث منكر لا يصح الاحتجاج به

(ب) (من حج فزار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي)[(٢)] وهذا حديث منكر المتن ساقط الإسناد ، ومما يدل على ضعفه ونكارته أن من زار قبره ﷺ بعد موته ليس كمن زاره في حياته ، فإن من زاره في حياته وكان مؤمناً كان من أصحابه المشهود لهم بالدرجة العالية في هذه الأمة، وأما من بعدهم فلن يبلغ رتبتهم ولو شاركهم في فعل الواجبات[(٣)] .

---

(١) رواه الدارقطني في سننه من طريق موسى بن هلال العبدي عن عبد الله أو عبيد الله العمري ، وهذا الحديث ضعيف لضعف موسى بن هلال وجهالته واضطرابه . فمرة يرويه عن عبيد الله ومرة عن عبد الله ، وسواء هذا أو ذاك فهو منكر الحديث لا يحتج به . انظر : سنن الدارقطني ، ٢ / ٢٧٨ ، والصارم المنكي ، ص١٨ – ٢٣.

(٢) أخرجه الدارقطني والبيهقي وغيرهما من طريق حفص بن سليمان عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عمر مرفوعا . وهذا الحديث ضعيف لتفرد حفص بن سليمان به . وهو متروك الحديث وشيخه ليث بن أبي سليم ضعيف لاختلاطه . انظر سنن الدارقطني ، ٢ / ٢٧٨ ، والسنن الكبرى للبيهقي ، ٥ / ٢٤٦ . وانظر في بيان ضعف الحديث الصارم المنكي ، ص ٥٥ وما بعدها ، والسلسلة الضعيفة للألباني ، ١ / ٦٢ – ٦٣.

(٣) محبة الرسول بين الاتباع والابتداع (٣٧٤/١) .

فاعتقاد وجوب زيارة قبره ﷺ اعتقاد باطل، ليس له ما يؤيده من السنة الصحيحة، ولا من أقوال أهل العلم الذين يقتدى بهم.

المشروع في زيارة قبره ﷺ:

هو أن يأتي المسلم إلى المسجد النبوي فيقول: دعاء دخول المسجد، ثم يقصد الروضة الشريفة فيصلي بها ركعتين تحية المسجد إن تيسر، وإلا ففي أي موضع من المسجد ، ثم يسلم على رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما قائلا : السلام عليك يا رسول الله. السلام عليك يا أبا بكر. السلام عليك يا عمر. كما كان يفعل ذلك ابن عمر رضي الله عنهما إذا قدم من سفر[١] والزيارة بهذه الكيفية مستحبة لمن قدم إلى المدينة قاصدا مسجد رسول الله ﷺ ، أو لمن كان يريد السفر من أهل المدينة ، وهذا الاستحباب مأخوذ من الأحاديث العامة الواردة في فضل زيارة القبور. ولم يثبت بخصوص زيارة قبره ﷺ حديث يحتج به عند أهل العلم[٢]. ولكن الناس ابتدعوا في باب زيارته ﷺ بدعا كثيرة خرجت بالزيارة عن أصلها المشروع[٣].

هـ – ما يفعل عند حجرته التي دفن فيها من الأمور المبتدعة

ومن ذلك سؤاله الاستغفار، والشفاعة ، والتوسل ، والاستغاثة ، والسجود إلى حجرته، والطواف بها ، والتمسح بالجدران المحيطة بها ، وإلصاق البطن بها.

وجميع هذه الأمور وما شاكلها هي أمور مبتدعة، أحدثها بعض المتأخرين، ولم يفعلها أحد من سلف الأمة وأئمتها، بل هي منهي عنها، وحكم السجود للحجرة والطواف بها فهو محرم أو كفر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فلا يجوز لأحد أن يطوف بحجرة النبي ﷺ، وليس في مسجد النبي ﷺ شيء يطاف به، ولا فيه ما يتمسح به، ولا ما يقبل، بل ليس في الأرض

---

(١) أخرج ذلك الأثر . البيهقي في السنن الكبرى . كتاب الحج . باب زيارة قبر النبي ﷺ ، ط١ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن الهند ، ١٣٥٢هـ . وأخرجه مالك بنحو من هذا في الموطأ . رواية محمد بن الحسن الشيباني تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف . طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، ص٣٣٤ .

(٢) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ، ٢٧ / ٣٨٣.

(٣) محبة الرسول بين الاتباع والابتداع (١/ ٣٧٢).

مكان يطاف به إلا الكعبة، ومن اعتقد أن الطواف بغيرها مشروع فهو شر ممن يعتقد جواز الصلاة إلى غير الكعبة)[1].

و . الحلف بالنبي ﷺ.

كقول أحدهم: (و النبي، و الرسول، و محمد، وغيرها من الألفاظ).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "تنازع الناس هل يحلف بالنبي ﷺ؟ مع اتفاقهم بأنه لا يحلف بشيء من المخلوقات المعظمة كالعرش والكرسي والكعبة والملائكة، فذهب جمهور العلماء كمالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد في أحد قوليه إلى أنه لا يحلف بالنبي ﷺ، ولا تنعقد اليمين، كما لا يحلف بشيء من المخلوقات، ولا تجب الكفارة على من حلف بشيء من ذلك وحنث. فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: (من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت)[2] [3].

وفي رواية: (ألا من كان حالفا فلا يحلف إلا بالله)[4] وقال: (من حلف بغير الله فقد أشرك)[5].

ز – التسمي بـ: (عبد النبي، عبد محمد، عبد المسيح):

سئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء عن هذا الاسم ونحوه: فقالت: (لا يجوز لما فيه من الغلو في الأنبياء وغيرهم، بتعبيد الناس لهم، وإعطائهم حقاً من حقوق الله كذباً وزوراً)[6].

وسئلت اللجنة الدائمة: (إن اسم أحمد ومحمد لا يدخلان إلى النار يوم القيامة، تكريماً وتعظيماً لاسم الرسول ﷺ ...) : فقالت: (ما ذكر في السؤال مَنْ أن من سمي محمد أو

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٧/ ١٠).

(٢) المرجع السابق (٢٧/ ٣٤٩).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأيمان والنذور، باب لا تحلفوا بآبائكم حديث (٦٦٤٦).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب أيام الجاهلية حديث (٣٦٢٤) ، (٣/١٣٩٤) .

(٥) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٣٤، ٨٦، ٢٥ ١). وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب النذور والأيمان، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله وقال: حديث حسن (٤/ ١١٠) ح ١٥٣٥.

(٦) فتاوى اللجنة (١١/ ٤٧٧).

أحمد لا يدخل النار يوم القيامة، تكريماً أو تعظيماً للرسول ﷺ . غير صحيح، فإن النبي ﷺ دعا عشيرته الأقربين وأنذرهم، وأمرهم بالتوحيد، وأن يؤمنوا، وقال: (لا أغني عنكم من الله شيئاً) فكل نفس بما كسبت رهينة، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت[1].

ح – ما يفعل في الموالد من الغلو والمنكرات:

لقد اتخذ أصحاب الطرق الصوفية من المولد ستارا لترويج باطلهم، ونشر بدعتهم عند الجهلة من عوام الناس.

فهم باسم محبة الرسول ﷺ يقيمون مثل هذه الاحتفالات، وبذكر شيء من سيرته يفتتحونها، ولكن سرعان ما يظهر الباطل، وتنجلي الغشاوة، فيرى صاحب البصيرة ألوانًا وأشكالاً من الغلو والبدع المنكرة، تظهر من خلال ما يتلفظ به من أقوال، وما ينشد فيه من أشعار، وما يقام من حركات وأفعال، مبدية بذلك الوجه الحقيقي، والهدف الرئيسي من إقامة مثل هذه الموالد.

ومن عجيب حال هؤلاء أنهم سموا كل اجتماعاتهم التي تقام فيها هذه الأباطيل مولداً، مع أن التسمية لا تساعدهم على هذا الإطلاق، وما ذاك إلا أنهم عرفوا أن رواج باطلهم لا يتحقق إلا تحت هدا الستار؛ ليروج أمرهم على خفافيش الأبصار، إتباع كل ناعق، فمن البدع والمنكرات التي تقام في هذه الموالد –وما أكثرها– ما يحصل من الغلو في حق النبي ﷺ وذلك من خلال القصائد التي يطلقون عليها اسم المدائح النبوية، والتي لا تخلوا من ألفاظ الغلو في شخص الرسول ﷺ، والتجاوز عما حدده الشارع مما يليق بمقامه الكريم من الإجلال والتقدير. أضف إلى ذلك ما يدعونه من أن النبي ﷺ يحضر هذه الموالد إما بجسده كما يدعيه بعضهم، أو بروحه كما يدعيه البعض الآخر منهم[2].

ويمكن الرد على هؤلاء بأن المولد النبوي ليس مشروعا في الإسلام، ولم يدل عليه دليل من كتاب، ولاسنة، ولا إجماع، ولا قياس صحيح ،ولا حتى دليل عقلي ولا فطري.

ويظهر فساد هذا من وجوه:

---

(١) فتاوى اللجنة (١/١٥٦) طبعة ١ ١٤٢٦هـ الرئاسة العامة.

(٢) حقوق النبي ﷺ على أمته في ضوء الكتاب والسنة محمد بن خليفة بن علي التميمي (/ ٧٧٣) الناشر: أضواء السلف، الرياض، ط ١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

الوجه الأول:

أن هذا الفعل لم يفعله النبيﷺ ولا أمر به،ولا فعله صحابته، ولا أحد من التابعين، ولا تابعيهم، ولا فعله أحد من أهل الإسلام خلال القرون الأولى، وإنما ظهر على أيدي أناس هم أقرب إلى الكفر منهم إلى الإيمان وهم الباطنيون.

الوجه الثاني:

أن الممارس لهذا الأمر- أعني بدعة المولد- كأنه يتهم الرسولﷺ بالخيانة وعدم الأمانة -و العياذ بالله- لأنه كتم على الأمة، ولم يدلها على هذه العبادة العظيمة التي تقربها إلى الله

الوجه الثالث:

اشتمال هذه الموالد على كثير من كبائر وعظائم الأمور، والتي يرتع فيها أصحاب الشهوات ويجدون فيها بغيتهم مثل: الطرب والغناء ،واختلاط الرجال بالنساء، ويصل الأمر في بعض البلدان التي يكثر فيها الجهل أن يشرب فيها الخمر، وكذلك إظهار ألوان من الشعوذة والسحر، ومن يحضر هذه الأماكن بغير نية القربة فهو آثم مأزور غير مأجور، فكيف إذا انضم إليه فعل هذه المنكرات على أنها قربة إلى الله عزوجل فأي تحريف لشعائر الدين أعظم من هذا التحريف[(١)] .

ي – القول بحضوره في مجالس المحتفلين ورؤيته بالعين الباصرة:

إن من يتأمل كلام الصوفية فيما يتعلق بشأن غلوهم في حق النبي ﷺ بما في ذلك التوسل والاستشفاع والاستغاثة وطلب تفريج الكروب ومغفرة الذنوب وغير ذلك مما تقدم الإشارة إليه يجد أن محور دعواهم يقوم على دعوى أن النبي ﷺ حي بجسده وروحه[(٢)] ، وأنه يتصرف ويسير حيث شاء في أقطار الأرض وفي الملكوت، وهو بهيئته التي كان عليها قبل وفاته لم يتبدل منه شيء، وأنه مغيب عن الأبصار كما في رؤية الملائكة -مع كونهم أحياء

(١) انظر مبحثا نفيسا لابن الحاج في كتابه المدخل (٢/ من بداية الجزء) فقدد ذكر ما يحدث من عظائم الأمور والمنكرات ما يندى له الجبين ، وانظر مانقله الشيخ اسماعيل الانصاري في رسالته القيمة (القول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل ص٦٤٨) ط. دار العاصمة والتي جمعت عددا من الرسائل في حكم المولد. مجلدين .

(٢) لا يقصد هؤلاء بالحياة هنا الحياة البرزخية ،وهذا يتضح من سياق العبارات التالية لهذه العبارة، فهم يرون أن النبيﷺ يخرج من قبره وله التصرف في الملكوت العلوي والسفلي.

بأجسادهم- فإذا أراد الله تعالى رفع الحجاب عمن أراد إكرامه برؤيته رآه على هيئته التي هو عليها، لا مانع من ذلك[1] .والصوفية ليسوا على رأي واحد في هذا الأمر، بل هم مختلفون مضطربون وفي حالهم هذا يتذكر المرء قول الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[2] .

وهذه الدعوى مخالفة للشرع والعقل.

أما من جهة الشرع فليس هناك دليل شرعي يثبت حصول ذلك، وغاية ما دلت عليه النصوص إمكانية الرؤيا المنامية، فحملها أهل الباطل على الرؤية البصرية، ومما يؤكد فساد هذا التأويل للرؤيا واقع القرون المفضلة المشهود لهم بالخيرية من المصطفى ﷺ، فلم ينقل عن أحد من أهل هذه القرون الثلاثة أنه رأى النبي ﷺ يقظة بعد موته، مع أنه قد حدثت في أزمانهم حوادث كان الحاجة إلى ظهوره شديدة جدا لو كان ذلك ممكنا، فالصحابة قد وقع بينهم اختلاف في عدد من المسائل الدينية والدنيوية وفيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، ولم يبلغنا أن منهم من ادعى أنه رأى في اليقظة رسول الله ﷺ وأخذ عنه ما أخذ، وكذا لم يبلغنا أنه ﷺ ظهر لمتحير في أمر من أولئك الصحابة الكرام فأرشده وأزال تحيره.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله-: وقد قال ابن عبد البر لمن ظن أن الرسول ﷺ قد كلم بعض الناس بعد وفاته عند حجرته: ويحك هذا أفضل من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار؟ فهل من هؤلاء من سأل النبي ﷺ فأجابه؟ وقد تنازع الصحابة في أشياء، فهلا سألوا النبي ﷺ فأجابهم، وهذه بنته فاطمة تنازع في ميراثه فهلا سألته فأجاب؟[3] .

وأما من جهة العقل فلم يترتب على هذه الدعوى من اللوازم الباطلة، فيلزم منها :

١- أن يخلو قبره من جسده فلا يبقى في قبره منه شيء، فيكون من يزوره في ذلك الوقت يزور مجرد القبر ويسلم على الغائب.

٢- أن يحيا الآن، ويخرج من قبره، ويمشي في الأسواق، ويخاطب الناس ويخاطبوه.

---

(١) غاية الأماني في الرد على النبهاني (١/ ٥٢).

(٢) سورة النساء ، آية (٨٢).

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠/ ٤٠٧).

٣- أن يكون الشخص الذي رآه يقظة له حكم الصحابة رضوان الله عليهم.

٤- أن يكون الكلام الذي تكلم به النبي ﷺ تشريعًا جديدًا لهذه الأمة، وهذا لاشك فيه، طعن في كمال هذا الدين وكونه عرضة للتبديل والتغيير.

وهذه الجهالات لا يلتزم بها من كان له أدنى مسكة عقل.

ومن ظن أن جسد رسول الله ﷺ المودع في المدينة خرج من القبر وحضر في المكان الذي رآه فيه فهذا جهل لا جهل يشبهه[١].

---

(١) حقوق النبي ﷺ (٢/ ٧٨٠).

المبحث الخامس

أنواع الغلو في محبة النبي ﷺ .

تتعدد أنواع الغلو وصوره، فمنه ما يكون في الاعتقاد ومنه ما يكون في العمل:

(أ) الغلو في الاعتقاد:

ويتمثل في مجاوزة حدود الاعتقاد الصحيح إلى غيره من ضروب الانحراف، والمتأمل في آراء الفرق الكلامية التي فارقت أهل السنة والجماعة بنوع اعتقاد يجدها قد غلت في ناحية من نواحي الاعتقاد حتى خرجت عن الصراط المستقيم، ومن الغلو في الاعتقاد:

دعوى أن الدنيا خلقت من أجل النبي ﷺ [(١)] .

وفي هذا يقول قائلهم:

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من لولاه لم تخرج الدنيا من العدم[(٢)] .

وقول الآخر : لولاه ما خلقت شمس ولا قمر ولا نجوم ولا لوح ولا قلم[(٣)] .

ويستند هؤلاء على أحاديث موضوعة وأخبار مكذوبة منها، حديث (لولاك ما خلقت الأفلاك) وهو موضوع[(٤)] .

---

(١) حقوق النبي ﷺ (٢ / ٧١٤).

(٢) ديوان البوصيري (ص ٢٤٠). تنبيه الحذاق (ص ٢٧).

(٣) تنبيه الحذاق (ص ٢٧).

(٤) قاله الصغاني في الأحاديث الموضوعة (ص ٧)، وانظر الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني (ص ٣٢٦) وسلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني رقم ٢٨٢.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أوحى الله إلى عيسى يا عيسى آمن بمحمد وأمر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به، فلولا محمد ما خلقت آدم، ولولا محمد ما خلقت جنة ولا نار[١] وهذه الأحاديث الموضوعة وأمثالها لا يمكن أن يعول عليها في إثبات أمر شرعي كهذا.

ومنه غلو بعض المتصوفة في الرسول ﷺ حيث ادعوا أنه مخلوق من نور وأن الكون خلق من نوره، وأنه يتصرف في الأكوان[٢].

ومن هؤلاء من يرى أن زيارة قبر النبي ﷺ أفضل من الحج إلى الكعبة، وأن دعاء النبي ﷺ والاستغاثة به أفضل من الاستغاثة بالله تعالى ودعائه[٣].

ومنهم من يظن أن الرسول يعلم ذنوبه وحوائجه وإن لم يذكرها، وأنه يقدر على غفرانها وقضاء حوائجه ، ويقدر على ما يقدر عليه الله ويعلم ما يعلمه الله"[٤].

ومنهم من يقول: (إنه يحضر في كل مجلس أو مكان أراد بجسده وروحه، وأنه يتصرف حيث شاء في أقطار الأرض وفي الملكوت، وهو بهيئته التي كان عليها قبل وفاته)[٥] إلى غير ذلك من العقائد الشركية.

---

(١) لا أصل له مرفوعًا إنما أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦١٤، ٦١٥) من طريق عمرو بن أوس الأنصاري ثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال: فذكره موقوفا وقال: "صحيح الإسناد" وتعقبه الذهبي بقوله "أظنه موضوعًا على سعيد". يعني : سعيد بن أبي عروبة (أحد رواة هذا الحديث) ، وقد روى هذا الحديث عنه عمرو بن أوس الأنصاري وهو المتهم بوضع هذا الحديث ، وقد ذكره الذهبي في "الميزان" وقال : أتى بخبر منكر ، ثم ساق هذا الحديث ، وقال : وأظنه موضوعاً. ووافقه الحافظ ابن حجر كما في "اللسان" . وقال الألباني في "السلسلة الضعيفة" (٢٨٠) : لا أصل له.

(٢) محبة الرسول ﷺ بين الإتباع والابتداع (١/ ١٨٧).

(٣) الرد على البكري (ص ٣٤٩).

(٤) الرد على البكري (ص ٣٠).

(٥) هذه هي الصوفية (ص ٨١).

(ب) الغلو في العمل :

ويقصد به ما كان واقعا في دائرة الأحكام الشرعية الخمسة وهي الوجوب، والندب، والكراهة، والتحريم، والإباحة. فمن جعل المندوب بمنزلة الواجب، أو المكروه بمنزلة المحرم ، أو جعل المباح مكروها أو محرما فقد غلا في الدين، وجانب الصراط المستقيم، فمن أوجب على نفسه قيام الليل كله – مثلا– فقد غلا؛ لأنه جعل المندوب بمنزلة الواجب، ولأنه جاوز حدود السنة في هذا الجانب. ومثل هذا من حرم ما أحل الله من النكاح، وأكل الطيبات زهداً وتعبداً. ويدخل في هذا الباب: كل من زاد على المشروع قدراً أو وصفاً ، وذلك كالزيادة على الثلاث في الوضوء مثلاً.

يقول ابن تيمية– رحمه الله –:

(والتشديد تارة يكون باتخاذ ما ليس بواجب ولا مستحب بمنزلة الواجب، والمستحب في العبادات، وتارة باتخاذ ما ليس بمحرم ولا مكروه بمنزلة المحرم والمكروه في الطيبات) [1] وقال ابن القيم – رحمه الله –:

والغلو نوعان:

١. نوع يخرجه عن كونه مطيعاً، كمن زاد في الصلاة ركعة، أو صام الدهر مع أيام النهي، أو رمى الجمرات بالصخرات الكبار التي يرمى بها في المنجنيق ، أو سعى بين الصفا والمروة عشراً ، أو نحو ذلك عمداً.
٢. وغلو يخاف منه الانقطاع، والاستحسار، كقيام الليل كله وسرد الصيام الدهر أجمع بدون صوم أيام النهي، والجور على النفوس في العبادات والأوراد، الذي قال فيه النبي ﷺ: (إن هذا الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا ويسروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة) [2] وفي صحيح مسلم عنه ﷺ أنه قال: (هلك المتنطعون) قالها ثلاثاً!) [3] وهم المتعمقون المتشددون) [4].

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ، ١ / ٢٨٣١.

(٢) أخرج البخاري ، كتاب الإيمان ، باب الدين يسر ، ١ / ١٦.

(٣) صحيح مسلم ، كتاب العلم ، باب هلك المتنطعون ، ٤ / ٢٠٥٥.

(٤) مدارج السالكين ، ٢ / ٤٩٦– ٤٩٧.

ومن أمثلة غلو العمل في محبة النبي ﷺ ما يلي:

١. اعتقاد أن زيارة قبره ﷺ واجبة:

سرى في أذهان كثير من الناس أن زيارة القبر النبوي واجبة، ويعتقد كثير منهم أنها مكملة لمناسك الحج، لا يتم الحج بدونها.

٢. الدخول إلى المسجد النبوي كهيئة المستأذن من الرسول ﷺ للدخول عليه:

جاء في كتاب أبي الحسن الشاذلي[(١)] أنه (لما قدم المدينة زادها الله تشريفا وتعظيما وقف على باب الحرم من أول النهار إلى نصفه عريان الرأس حافي القدمين، يستأذن على رسول الله ﷺ تسليماً. فسئل عن ذلك فقال حتى يؤذن لي، فإن الله – عز وجل – يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ ﴾[(٢)]

فسمع النداء من داخل الروضة الشريفة على ساكنه أفضل الصلاة والسلام يا علي ادخل)[(٣)] وهذه بدعة منكرة لم يقل بها أحد من أهل العلم سلفاً وخلفاً ، وقياس الدخول عليه ﷺ بعد موته بدخول بيته في حياته قياس باطل، فإن الداخل إنما يدخل المسجد أصلا سواء في حياته أو بعد موته، ودخول المسجد لا يحتاج إلى استئذان. ولو كان مشروعا لفعله الصحابة رضي الله عنهم.

٣. التزام كيفية معينة في زيارة قبره ﷺ من حيث الوقوف والسلام والدعاء:

---

(١) هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي المغربي ، رأس الطريقة الشاذلية وإليه تنتسب . انظر : ترجمته في معجم المؤلفين ، ٧ / ١٣٧.

(٢) سورة الأحزاب ، آية (٥٣).

(٣) انظر أبو الحسن الشاذلي – الصوفي المجاهد والعارف بالله ، بقلم عبد الحليم محمود ، ص ٧٩- ٨٠ ، ط دار الكتاب العربي مصر ، ١٩٦٧ م.

فبعض الناس يقف أمام القبر الشريف كهيئة المصلي واضعاً يده اليمنى على اليسرى وهذا أمر تعبدي لا يجوز فعله إلا في الصلاة.

٤ . التمسح بالحجرة وتقبيل شباكها واستلامه والطواف بها:

وهذه أمور من العبادة لا تجوز إلا في الكعبة. ففعلها في المسجد النبوي محرم شرعا إلى غير ذلك من الغلو العملي[١] .

ومما سبق نلاحظ تنوع الغلو في محبة النبي ﷺ ، في الاعتماد ، وفي العمل ، وكل هذا يقع بسبب مخالفة هدي النبي ﷺ والخلفاء الراشدون ، ونحمد الله أن قيض الله العلماء لرد أنواع الغلو ، فانتفع بهذه الردود أقوام أراد الله بهم الهداية ، وضل آخرون ممن أعرضوا عن الحق ، واتبعوا أهواءهم – نسأل الله العافية – .

(١) انظر / محبة الرسول بين الاتباع والابتداع (٣٧٩/١).

المبحث السادس

أسباب الغلو في محبة النبي ﷺ.

يمثل الغلو ظاهرة انحراف خطيرة في تاريخ الأديان السماوية، إذ يعد من أكبر أسباب الانحراف بالدين عن الصراط المستقيم. ويبدأ هذا الانحراف يسيراً ثم يتعاظم على مر الأيام حتى يصبح كأنه الأصل.

مثلما حدث في النصرانية حيث كانت على عهد المسيح –عليه السلام– عقيدة خالصة من شوائب الشرك ، ودينا قويماً ، ثم أصابها الغلو فانحرف بها عن التوحيد الخالص إلى الشرك المحض، ومن دين سماوي إلى دين وضعي، ممزوج بوثنيات الهند، وترهات اليونان، وأباطيل اليهود.

وهذا الغلو لا ينشأ فجأة من فراغ، ولكنه مرتبط بعدة عوامل وأسباب تؤدي إليه وتظهره. وهذه الأسباب كثيرة ومتنوعة لكننا نريد أن نقف علي أهم الأسباب التي أدت إلى وجود الغلو لدى بعض طوائف المسلمين، ومنه الغلو في محبة النبي ﷺ،وهي:

أولاً: الجهل بالدين:

ويتمثل هذا في جوانب متعددة منها:

أ– عدم التفريق بين ما هو حق لله وحده لا يشاركه فيه غيره، وبين ما هو حق للرسول ﷺ .فقد بعث الله جميع الرسل وأنزل جميع الكتب بالدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والنهي عن دعاء ما سواه –لا دعاء عبادة ولا دعاء مسألة–، قال تعالى:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[1].

(١) سورة الأنبياء، آية (٢٥).

وقال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[1].

فدين الحق دين الإسلام الذي أمر بعبادة الله وحده لا شريك له، وتصديق رسله، كما يدل عليه قولنا: (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله).

ب- القصور في فهم مقاصد الشريعة من التيسير ورفع الحرج عن المكلفين، ويتجلى هذا في صنيع المتشددين على أنفسهم في العبادات.

ج- الجهل بحدود الشريعة التي يجب على المكلف أن يقف عندها، ولا يتعداها، ويتمثل هذا في كل أنواع الغلو المجاوزة لحدود الشريعة، وذلك كتحريم المباح أو إيجاب ما ليس بواجب، ويدخل فيه الخروج ببعض الأنبياء أو الصالحين عن حد البشرية بوصفهم بصفات الألوهية.

د- القصور في فهم نصوص الشريعة، ويتجلى هذا الأمر في النظرة الجزئية القاصرة لنصوص الشريعة.

فمثلاً وردت النصوص الشرعية في الوعد والوعيد، فنصوص الوعد تبعث في قلوب الخائفين والمذنبين الرجاء والأمل في التوبة، والوعد بالمغفرة والرحمة، لكل من أقبل على الله تائبا من ذنبه.

وفي المقابل نرى نصوص الوعيد تتوعد الكفار والمشركين وأهل الكبائر المصرين على ذنوبهم بأليم العذاب وشديد العقاب، إذا لم يتوبوا ويؤمنوا، فإن تابوا وآمنوا وعملوا الصالحات تاب الله عليهم.

---

(١) سورة آل عمران، آية (٧٩-٨٠).

فهذه هي النظرة المتكاملة في باب الوعد والوعيد، ولكن قصور الفهم يأتي من النظرة الجزئية إلى أحد الجانبين، وإهمال الجانب الآخر، والإعراض عنه، ومحاولة التأويل المتعسف للنصوص الشرعية.

كما وقع ذلك من الخوارج والمرجئة. فالخوارج غلبوا نصوص الوعيد وأهملوا نصوص الوعد، فحكموا بكفر مرتكب الكبيرة وتخليده في النار. وأما المرجئة فغلبوا نصوص الوعد وأهملوا نصوص الوعيد للعصاة ، فزعموا أنه لا تضر مع الإيمان معصية وعطلوا بذلك جزءا كبيرا من نصوص الشرع .

ومثلهم غلاة المتصوفة في الرسول ﷺ حين غلوا فيه حيث نظروا إلى جانب التعظيم للرسول ﷺ، وأهملوا جانب التوحيد، وسد الذريعة إلى الوقوع في الشرك، والسبب الذي أوقعهم في ذلك هو النظرة الجزئية القاصرة لنصوص الشرع، دون جمع النصوص بعضها إلى بعض حتى تكتمل النظرة ويصح الحكم عليها. لكن الجهل بمقاصد الشريعة مع غلبة الهوى وعدم البصيرة هو الذي أوقع المبتدعة فيما وقعوا فيه.

يقول الشاطبي[(١)] :

"ومدار الغلط في هذا الفصل إنما هو على حرف واحد،وهو الجهل بمقاصد الشرع، وعدم ضم أطرافه بعضها لبعض، فإن مأخذ الأدلة عند الأئمة الراسخين إنما هو على أن تؤخذ الشريعة كالصورة الواحدة بحسب ما ثبت من كلياتها وجزئياتها المترتبة عليها، وعامها المرتب على خاصها، ومطلقها المحمول على مقيدها، ومجملها المفسر بينها، إلى ما سوى ذلك من مناحيها. . . . فشأن الراسخين تصور الشريعة صورة واحدة يخدم بعضها بعضا كأعضاء الإنسان. . وشأن متبعي المتشابهات أخذ دليل ما، أي دليل كان، عفواً وأخذاً أولياً، وإن كان ثم ما يعارضه من كلي أو جزئي. فكان العضو الواحد لا يعطي في مفهوم أحكام الشريعة حكما حقيقياً. فمتبعه متبع متشابه، ولا يتبعه إلا من في قلبه زيغ"[(٢)] .

---

(١) هو أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي (. . . – ٧٩٠ هـ) فقيه . أصولي . لغوي . مفسر . . من تصانيفه عنوان التعريف بأسرار التكليف ، والموافقات في أصول الأحكام وعنوان الاتفاق في علم الاشتقاق وغيرها . انظر : معجم المؤلفين ، ١ / ١١٨– ١١٩ ، والأعلام ، ١ / ٧٥.

(٢) محبة الرسول بين الاتباع والابتداع (١٩٢/١) .

ثانياً: اتباع الهوى:

يطلق الهوى على ميل النفس وانحرافها نحو الشيء، وهو غالبا ما يطلق على الزيغ والضلال، واتباع الهوى هو الانحراف عن الحق إلى الباطل لزيغ في القلب وفساد في العقل، وهو طريق كل حائد عن الصراط المستقيم من الضالين، كما أن اتباع الحق والهدى سبيل المؤمنين.

وقد ورد في القرآن ذم الهوى واتباعه والتحذير منه في آيات كثيرة منها :

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [١] واتباع الهوى من أكبر أسباب الغلو في الدين، ويتمثل هذا في تحسين الظن بالعقل ، وجعله حاكماً على الشرع ، كما وقع هذا بين طوائف المتكلمين والصوفية، حيث ابتدعت كل طائفة أصولاً وقواعد حكمت بها على النصوص، فما وافقهم قبلوه ، وما خالفهم ردوه بنوع تأويل أو تحريف أو قدح في رواته أو نفيه إن كان خبر آحاد ، إلى غير ذلك من الشبه الباطلة ،فلما لم يضعوا الشرع في مكانه، وغلوا في تقديس عقولهم وقعوا في المهالك [٢]

ثالثاً– الاعتماد على الأحاديث الواهية والموضوعة:

إن حدوث الوضع في الحديث والكذب على رسول الله ﷺ لم يكن شيئاً عفوياً ، بل كان تياراً منظماً أحدثته الزنادقة كيداً للإسلام، وتنفيساً لكوامن حقدهم عليه، وتجلى ذلك في محاولة تشويه الإسلام بإدخال رواسب أفكارهم ومعتقداتهم التي عمها الإسلام، فأخرجوها في قالب الأحاديث حتى تروج على العامة. وتعد الشيعة أوضح مثال على ذلك، حيث وضعوا الأحاديث في فضائل علي، ومناقب آل البيت،والإمامة ، وسائر عقائدهم، ففتحوا بذلك باب الغلو في الأشخاص في هذه الأمة.

---

(١) سورة المائدة ، آية (٧٧).

(٢) محبة الرسول بين الاتباع والابتداع (١٩٣/١) .

يقول ابن أبي الحديد الشيعي المعتزلي[١] .

واعلم أن أصل الأكاذيب في أحاديث الفضائل كان من جهة الشيعة، فإنهم وضعوا في مبدأ الأمر أحاديث مختلقة في صاحبهم. حملهم على وضعها عداوة خصومهم[٢] .

ويهمنا في هذا النص اعتراف أحد كتابهم بذلك، وكما قيل:الاعتراف سيد الأدلة، كما قام بعض ضلال الفرق بوضع الحديث تأييدا لمذهبه وردا على خصومه. وقد كان للزنادقة خاصة في العصر العباسي الأول دور في وضع الحديث في كافة جوانب الدين وأهمها الاعتقاد، وكان قصدهم من وراء ذلك تشويه الإسلام، وتنفير الناس منه فكانت هذه الأحاديث رصيدا لمن أتى بعدهم من الغلاة يعتمد عليها، ويستدل بها. وقل أن يوجد فكر منحرف أو عقيدة غالية إلا ووراءها أحاديث موضوعة وواهية[٣] .

رابعاً– رواسب الديانات القديمة:

مع اتساع موجة المد الإسلامي بكثرة فتوح البلدان، دخل في الإسلام أجناس شتى طائعين ومكرهين. ولم يكن انتشار الإسلام بهذه السرعة يوافق رضا كثير من أعدائه بل كان شجى في حلوقهم، وغيظاً في قلوبهم، وقذى في أعينهم، لما رأوا أن الدولة للإسلام، وأن مقاومته وحربه بالسيف غير ممكنة ولا مجدية، دخلوا في الإسلام متظاهرين ليكيدوا له من الداخل، فراحوا يشوهون صورته ويمزقون وحدته، وراموا أحياء وثنياتهم من خلاله، وإفساد صفاء العقيدة الإسلامية.[٤]

وساعدهم على ذلك الفتن التي حدثت بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، والتي كانت سبباً في تفرق الأمة إلى شيع وأحزاب. ثم أعقب ذلك ظهور الفرق الكلامية بآرائها

---

(١) هو عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين أبو حامد بن أبي الحديد المدائني (٥٨٦– ٦٥٥هـ) كاتب ، شاعر،أديب شيعي غال، ومن أعيان المعتزلة أيضا ، نشأ بالمدائن ثم سار إلى بغداد فكان أحد الكتاب والشعراء بديوان الخليفة،وكانت له حظوة عند الوزير ابن العلقمي الرافضي لما بينهما من المناسبة والمشابهة في التشيع والأدب . انظر ترجمته في : البداية والنهاية ، ١٣ / ١٩٩– ٢٠٠ ، ووفيات الأعيان ٢ / ١٥٨.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبع مطبعة عيسى الحلبي ، مصر ، ١٣٨١هـ ١١ / ٤٨ – ٤٩.

(٣) محبة الرسول بين الاتباع والابتداع (٢١٧).

(٤) المصدر السابق ص ٢٠٣.

ومعتقداتها. والمتأمل في تاريخ الفرق الكلامية وآرائها المخالفة لمعتقد أهل السنة والجماعة يرى تأثر الأفكار الدخيلة، من يهودية ونصرانية ومجوسية وفلسفات وثنية، يونانية وهندية ومصرية.[1]

وقد حاول أعداء الإسلام جهدهم والتوفيق بين هذه الأفكار وبين الإسلام وإلباسها ثوب الإسلام، فظهر ما يسمى بالفلسفة الإسلامية وعلم الكلام، والتصوف الإسلامي، والفرق الإسلامية، على اختلاف آرائها ومقالاتها والتي بدأ تأثير هذه الأفكار واضحاً عليها. كما كان وراء نشأة كل فرقة أناس أسلموا ظاهرا مع كفرهم باطناً، كان هؤلاء رواد هذه الفرق ومؤسسيها. فمنهم عبد الله بن سبأ[2] رأس الشيعة ومؤسسها والذي وضع لهم أساس العقائد الباطلة الموروثة إلى يومنا هذا، وذلك كالرجعة أي رجعة علي رضي الله عنه بعد موته إلى الدنيا قبل يوم القيامة، وأنه سينزل إلى الأرض فيملؤها عدلاً كما ملئت جوراً.

وكان يقول: "العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ويكذب بأن محمداً يرجع وقد قال الله – عز وجل – : ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾﴾[3] فمحمد أحق بالرجوع من عيسى فوضع لهم أساس رجعة الأئمة بذلك وهو الذي وضع لهم أساس الوصية. وأن علياً خاتم الأوصياء ،كما أن محمداً خاتم الأنبياء وكان يقول: "أنه كان ألف نبي ولكل نبي وصي. وكان علي وصي محمد ﷺ فمحمدﷺ خاتم الأنبياء وعلي خاتم الأوصياء".[4]

ثم قال بعد ذلك: (ومن أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ﷺ ووثب على وصي رسول الله ﷺ) وكان يقول وهو في يهوديته في يوشع بن نون بعد موسى، مثلما قال في علي بعد رسول الله ﷺ. كما أنه أول من أظهر الطعن في الصحابة والتبرؤ منهم، إلى غير ذلك من السموم التي نفثها في الشيعة فاتخذوها عقائد يعتقدونها، ودينا يتعبدون به[5] وقد كانت

(١) محبة الرسول بين الاتباع والابتداع (٢٢٥).

(٢) المرجع السابق والصفحة.

(٣) سورة القصص ، آية (٨٥).

(٤) تاريخ الطبري (٦٤٧/٢) وانظر : الفرق بين الفرق للبغدادي (ص/٢٣٥) .

(٥) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لأبي القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي . تحقيق د . أحمد محمد حمدان . نشر دار طيبة . الرياض ٤ / ٧٤٩- ٧٥٠.

الشيعة مرتعا خصبا لتقبل هذه الأفكار وغيرها، وذلك لقلة عقولهم، وضعف تمييزهم.

وهكذا كان وراء كل فرقة عناصر أجنبية أتت بأفكارها وعقائدها المأخوذة من الديانات القديمة.

فقد كان وراء بدعة القدر رجل يقال له (سوسن) [١] كان نصرانياً فأسلم ثم تنصر، فأخذ عنه معبد الجهني [٢] وأخذ غيلان عن معبد بدعته في القدر [٣] وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن أصل بدعة جهم بن صفوان في التعطل ونفي الصفات مأخوذ عن المشركين والصابئة من البراهمة والمتفلسفة ومبتدعة أهل الكتاب الذين يزعمون أن الرب ليس له صفة ثبوتية أصلا [٤] وإذا كان هذا التأثير قد تم بواسطة أشخاص امتلأت قلوبهم حقداً على الإسلام فلا ينبغي أن نغفل الدور المنظم الذي قام به اليهود والنصارى والمجوس ومن مالأهم من الزنادقة الذي سعوا بكل جهدهم في محاولة تشويه الإسلام بإدخال العقائد الباطلة والأفكار الهدامة إلى ساحة الإسلام.

ففي هذا البحث تناولنا أسباب الغلو في محبة النبي ﷺ وتنوعت العوامل المسببة للغلو فأولها الجهل بالدين ووكان السبب الأكبر في ذلك عدم الأخذ للعلم من الأئمة الراسخين فمنهم يؤخذ العلم وهم من يبين للناس تفسير القرآن وبيان معانيه وشرح سنة المصطفى ﷺ وصحبه ، الحديث ومعرفة ضعيفه وبهم يبتعد الانسان عن اتباع الهوى وتطرد العادات والخرافات القديمة وفي هذا الفصل كان الحديث عن الغلو في محبة النبي ﷺ وبيان المقصود بالغلو في محبته ﷺ وهو المبالغة بابتداعهم أمور لم يشرعها الله ورسوله ظناً منهم أن فعلهم علامة من علامات محبته ﷺ وبيان الفرق بين المحبة والغلو والجفاء ثم كان نشأة الغلو وأن منشأ الغلو كان من الشيعة حين غلو في علي رضي الله عنه وكذلك بيّنا موقف الإسلام

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، لأبي القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي ، تحقيق : أحمد محمد حمدان،الجزء الرابع ص ٧٤٩، ٤٧٥٠ دار طيبة – الرياض

(٢) انظر : تفصيل عقائد السبئية في : الملل والنحل . لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني . تحقيق . محمد سيد كيلاني دار الصرفة بيروت ١٤٠٤ هـ ، ١٧٣١١ وما بعدها . وانظر عبد الله بن سبأ في أحداث الفتنة في صدر الإسلام . تأليف سليمان بن حمد العودة ط ١، دار طيبة . الرياض ١٤٠٥ هـ ، ص ١٩٩/ ٢٤١.

(٣) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ، (١ / ٦٦٠– ٦٧).

(٤) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ، (١ / ٦٦٠– ٦٧).

الرافض للغلو المحذر منه فقول الرسول ﷺ : (إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين) [1]

وتطرقنا إلى مظاهر الغلو في محبة النبي ﷺ وهي متنوعة بين الخرافات التي يطلقها المبتدعة مثل ما يسمى (بالحقيقة المحمدية) وإلى أن الدنيا خلقت من أجله وجواز صرف بعض العبارات له ﷺ ، واختلاق البدع في زيارة قبر النبي ﷺ وذكرنا المشروع عند الزيارة وغيرها من مظاهر الغلو وبيان الوجه الشرعي في الرد على ذلك .

ثم كان الحديث عن أنواع الغلو فمنه الاعتقادي ومنها الغلو في العمل وتحدثنا على أسباب الغلو في محبة النبي ﷺ فكان الجهل وعدم أخذ العلم من مصادره والعلماء الربانين سبباً للوقوع في الغلو .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

(١) مسند عبد الله بن العباس رواه أحمد في مسنده ٢١٥٥/١, ٣٤٧ ا والنسائي كتاب الحج باب التقاط الحصى (٢٦٨/٥،٣٠٥٧) وصححه الالباني في صحيحه وضعيف سنن النسائي (١٢٩/٧) برقم (٣٠٥٧) في السنن ٢٦٨/٥ ٩٨ وقال شيخ الإسلام في اقتضاء الصراط ٢٩٣/١ صحيح على شرط مسلم.

الفصل الثالث : طرق الوقاية والاحتساب على الغلو في محبة النبي ﷺ:

ويشتمل على مبحثين:

- المبحث الأول: طرق الوقاية من الغلو في محبة النبي ﷺ.
- المبحث الثاني: الاحتساب على الغلو في محبة النبي ﷺ.

المبحث الأول

طرق الوقاية من الغلو في محبة النبي ﷺ

إن الغلو في الدين فساد عقدي، ومن شأن مظاهر الفساد العقدي، أنها تتوالد فينشئ بعضها بعضاً. فحين غلا الشيعة في علي – رضي الله عنه – كفرهم الخوارج وحين غلا الخوارج في الوعيد خلدوا بعض المؤمنين في النار، وحين غلا المرجئة في الوعد نفوا بعض الوعيد. وفي العصر الحديث نجد أن الغلو في الدين حلقة من حلقات مظاهر العبادة، حيث تجد الأضرحة والقبور التي يطاف بها، ويعبدُ أصحابها من دون الله – عز وجل –، فيدعون ويستغاث بهم، وينذر لهم. وحماية الدين من الفساد العقدي هو بالرجوع إلى ما كان عليه الرسول ﷺ وصحابته – رضي الله عنهم – وسلف الأمة وتربية المجتمع على هذه العقيدة الصافية وذلك من خلال:

١ . الاعتصام بالكتاب والسنة:

فقد جعل الله – عز وجل – الكتاب هداية للبشر، وجاءت النصوص دالة على الاعتصام به وطاعة رسوله ﷺ، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾[1] قال ابن كثير –رحمه الله– (قال مجاهد وغيره من السلف أن يرد التنازع إلى الكتاب والسنة)[2].

وجاءت السنة المطهرة لتبين هذا الأمر فعن العرباض بن سارية –رضي الله عنه– قال: (قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم، فوعظنا موعظة بليغة، وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون فقيل: يا رسول الله، وعظتنا موعظة مودع فاعهد إلينا بعهد. فقال: (أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم يرى اختلافاً كثيراً، وإياكم

---

(١) سورة النساء ، آية (٥٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٥١٨) .

ومحدثات الأمور فعليكم فإنها ضلالة، فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء المهديين، عضوا عليها بالنواجذ) [١] ويكون الاعتصام بكتاب الله والسنة المطهرة، اعتصاماً بهما جميعاً ، فعن المقدام بن معد يكرب –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن ، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه .. الحديث) [٢] وزاد الترمذي (وإن ما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله) [٣].

فالرسول ﷺ يحذر من مخالفة سنته مما ليس لها في القرآن ذكر، على ما ذهب إليه الخوارج من الروافض، فإنهم تعلقوا بظاهر القرآن، وتركوا السنن التي قد ضمنت بيان الكتاب فضلوا وأضلوا.

وإذا كان الغلو مخالفة للكتاب والسنة فإن طرق الوقاية في ذلك برد المبتدع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأمره بالاعتصام بهما، وقد كان السلف يرشدون إلى أخذ المبتدعة بالسنن، لأن أهل البدعة يتجادلون بمتشابه القرآن، قال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– (سيأتي قوم يجادلونكم بشبهات القرآن، فخذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله) [٤].

٢ – الالتزام بمذهب السلف أهل السنة والجماعة والدعوة إليه:

فإن صحابة رسول الله ﷺ حين التزموا بسنته ومن بعدهم التابعون لهم بإحسان وساروا على منهجه متمسكين بسنته وبقوا على الحق في وجه الفتن والبدع استحقوا بذلك وصفهم بالسلف أهل السنة والجماعة، ولقب به اللاحقون ممن اتبعوا منهج رسول الله ﷺ من العلماء والمصلحين والأئمة المهديين مما تمسك بمنهج أهل السنة والجماعة، وعلى هذا المنهج ساروا لا

---

(١) سنن الترمذي باب الأخذ بالسنة واحتساب البدع (٥/٤٤) في صحيح الترمذي وصححه الالباني (٦/١٧٦) برقم (٢٦٧٦) .

(٢) رواه أبو داود في سننه (٥/ ١٠. ١١ ، رقم (٤٦٠٤) كتاب السنة ، باب لزوم السنة.

(٣) سنن الترمذي (٥/ ٣٨ ، رقم ٢٦٦٤) وصححه الالباني – رحمه الله – في صحيح سنن الترامذي (٦/١٦٤) برقم (٢٦٦٤) .

(٤) رواه الدارمي في سننه في المقدمة : (١ : ٤٧) باب التورع عن الجواب فيما ليس فيه كتاب ولا سنة قال حسين سليم أسد في إسناده ضعيف لضعف عبد الله بن صالح وباقي رجاله ثقات .

تتغير أحوالهم، ولا تتبدل أقوالهم على مر العصور. وذلك برهان على سلامة منهجهم قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[1].

وفي حديث ابن مسعود – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: (خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء من بعدهم قوم، تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته)[2].

إن في التزام مذهب السلف – رحمهم الله – تحقيق السلامة من الانحراف، وعلاج ما وقع منها. وهذان ركنا المعالجة الحقيقية لظواهر الانحراف والابتداع في المجتمع المسلم.

ذلك أنه ما من مظهر من مظاهر الغلو إلا وقول السلف (أهل السنة) ظاهر في إنكاره ومخالفته، عُدَّ ذلك بمظاهر مثل: التكفير بالمعصية، والخروج على الحكام المسلمين، كما أنه ما من سبب ومورد من موارد الغلو إلا وقد قطعه السلف، عُد ذلك بأسباب مثل: التأويل المذموم، وإتباع المتشابه، والجدل المذموم، وغير ذلك.

والدعوة إلى منهج السلف من طرق الوقاية من الوقوع في الغلو ونجد أهل العلم ينصون على أن قولهم في مسائل الاعتقاد تابع لقول السلف، قال الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله – في مقدمة رسالة السنة (هذه مذهب أهل العلم، وأصحاب الأثر، وأهل السنة المتمسكين بعروتها، والمعروفين بها، المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النبي ﷺ إلى يومنا هذا وأدركت من علماء الحجاز والشام وغيرهما عليها، فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب، أو طعن فيها، أو عاب قائلها، فهو مخالف مبتدع، وخارج عن الجماعة، زايل عن منهج السنة وسبيل الحق)[3]. ونشر مذهب أهل السنة و الجماعة بعدة وسائل منها:

---

(١) سورة النساء ، آية (٨٢).

(٢) رواه البخاري ، واللفظ له : (١٨٩/٤) كتاب أصحاب النبي ﷺ ، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ.

(٣) السنة النبوية ومطاعن المبتدعة فيها د/ مكي الشامي، ص(٣٤/٣٣) ط ١٤٢٠هـ دار عمار الأردنية .

أ. التأليف والنشر:

للكتب المناسبة للغة الزمان وأهله في بيان معتقد أهل السنة والجماعة أهمية عظمى، فتنشر تلك الكتب على نطاق واسع، بلغات مختلفة، حتى يعرف الحق من كان يجهله. وأن تنشر كتب الأئمة المتقدمين والعلماء التابعين بهم، وتوسع دائرة نشرها، وتترجم بلغات مختلفة.

ب. التعليم:

وذلك بأن تتبنى دور العلم ومؤسساته منهج أهل السنة والجماعة، فيعلم الطالب من صغره عقيدة السلف، ويتابع ذلك بتعليم طلاب الجامعات والمعاهد العليا عقيدة أهل السنة والجماعة.

ج. وسائل التوجيه والتأثير:

بأن تساهم وسائل الإعلام بنشر عقيدة السلف والدعوة إليها، وإشاعة ذكر السلف، وأقوالهم بين الناس، بحسب طبقات الناس ومن ذلك: ما كان في زمن الشيخ محمد بن عبدالوهاب – رحمه الله – من تعليم عوام الناس أصول الاعتقاد، ومدارسة أئمة المساجد مع الناس هذه الأصول، ثم تدرج الدروس بحسب مقدار ما حصّل الإنسان من العلم[(١)].

٣. طلب العلم الشرعي.

فمن أهم أسباب الوقوع في الغلو عدم العلم، فالجهل أساس من أسس الانحراف عن طريق الحق والهدى، ولقد أمرنا بطلب العلم، وقد يكون طلبه فرض عين فيما لا يسع الإنسان الجهل به، كمعرفة ربه ونبيه ﷺ وأمور الدين التي لا تصح العبادة إلا بها.فعن أنس – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: (طلب العلم فريضة على كل مسلم)[(٢)].

---

(١) مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر، عبدالرحمن اللويحق (٣/ ٨٥٤) مؤسسة الرسالة عام١٤٢٠ بيروت ط٢.

(٢) أخرجه ابن ماجة في السنن (٨١/١ رقم ٢٢٤) المقدمة باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ، صحيح الالباني – رحمه الله – هذا اللفظ من الحديث دون آخره وفيه (وواضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب) فإنه ضعيف جداً وذكره في الضعيف تحت الحديث (٤١٦) ، انظر صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٢٩٦/١) .

قال البيهقي – رحمه الله – في المدخل: (أراد – والله تعالى أعلم – العلم الذي لا يسع العاقل البالغ جهله، أو علم ما يطرأ له خاصة فيسأل عنه حتى يعلمه، أو أراد أنه فريضة على كل مسلم حتى يقوم به من فيه كفاية)[1].

وعن معاوية – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ (من يرد الله به خير يفقه في الدين)[2] (ففي الحديث إثبات الخير لمن تفقه في دين الله، وأن ذلك لا يكون بالاكتساب فقط، بل لمن يفتح الله عليه به)[3].

قال النووي – رحمه الله –: (فيه فضيلة العلم، والتفقه في الدين، والحث عليه، وسببه أنه قائد إلى تقوى الله)[4].

وقد أكثر السلف من الوصاية بالعلم وطلبه، ومن ذلك قول عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه – (اغد عالماً أو متعلماً ، ولا تغد إمعة بين ذلك)[5].

والمراد بالعلم المأمور به في نصوص الشريعة: العلم الشرعي: علم الكتاب والسنة.

قال ابن القيم – رحمه الله – (فلو عرف العبد كل شيء ولم يعرف ربه فكأنه لم يعرف شيئا، ولو نال كل حظ من حظوظ الدنيا ولذاتها وشهواتها ولم يظفر بمحبة الله والشوق إليه والأنس به فكأنه لم يظفر بلذة ولا نعيم)[6].

وقال شيخ الإسلام – رحمه الله –: (والعلم الممدوح الذي دل عليه الكتاب والسنة، هو العلم الذي ورّثه الأنبياء)[7].

---

(١) (مشكاة المصابيح) لولي الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب العمري التبريزي مع شرحه مرعاة المفاتيح للشيخ أبي الحسن عبيدالله بن العلامة محمد عبدالسلام المباركفوري (٧٤٤/٩).

(٢) رواه البخاري (٦/١) كتاب العلم ، باب من يرد الله به خيراً يفقه في الدين.

(٣) فتح الباري لابن حجر (١٦٤/١).

(٤) شرح صحيح مسلم (١٢٨/٧).

(٥) رواه ابن عبد البر (جامع بيان العلم وفضله) (٢٩/١).

(٦) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (٦٨/١).

(٧) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٩٦/١١).

ويمكن وقاية الجاهل بأن يطلب العلم أو أن يسأل أهل العلم والسؤال عند الحاجة أو الجهل بالشيء فقال تعالى:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [1].

يقول الشيخ ابن سعدي – رحمه الله تعالى – (وعموم هذه الآية فيها مدح أهل العلم، وأن أعلى أنواعه، العلم بكتاب الله المنزل، فإن الله أمر من لا يعلم بالرجوع إليهم في جميع الحوادث، وفي ضمنه تعديل لأهل العلم وتزكية لهم، حيث أمر بسؤالهم، وأن بذلك يخرج الجاهل من التبعة) [2].

٤ . التلقي من العلماء ورعاية حقوقهم.

فمن أسباب انحراف الخوارج من قبل عدم رعايتهم لحقوق العلماء ومنازلهم، فلم يرفعوا بالعلماء من سادات صحابة الرسول ﷺ رأساً، بل رفضوا أقوالهم، وتبرؤوا منهم، وكفروهم، واستحلوا دمائهم وأموالهم، ولو عرفوا أقدار هؤلاء الصحابة – رضي الله عنهم – لسلموا من غوائل الانحراف ومفاسد الغلو) [3].

وفضل العلماء جاء في الحديث عن النبي ﷺ: (فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب) [4]. وذلك لأن نفعهم يتعدّى، وفي رواية: (فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم) [5] فالعلماء لهم احترام ومنزلة، وهداية المرء موكول باعتصامه بالكتاب والسنة، واعتصامه بالكتاب والسنة موكول باقتدائه بأهل العلم بالكتاب والسنة، وبهذا فإن حاجة الناس إلى العلماء عظيمة، قال الإمام أحمد – رحمه الله – (الناس أحوج إلى العلم منهم إلى الطعام والشراب، لأن الطعام والشراب يحتاج إليه في اليوم مرتين أو ثلاثاً، والعلم يحتاج إليه كل وقت) [6].

---

(١) سورة النحل ، آية (٤٣).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٤/ ١٠١)

(٣) ذكره ابن القيم (أعلام الموقعين) (٢٥٧/٢).

(٤) ذكره ابن القيم (أعلام الموقعين) (٢٥٧/٢).

(٥) أخرجه الترمذي (رقم٢٦٩٠).

(٦) ذكره ابن القيم (أعلام الموقعين) (٢٥٧/٢).

والمتلقي من غير العلماء يقع في الانحراف ثم غالباً ما يعتذر بالجهل، ولكن هذا لا يمهد له إذ إن جهل المرء لا يعفيه من تبعات الوقوع في الخطأ والانحراف، بل يلزمه إذا كان جاهلاً أن يسأل أهل العلم.قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧ ﴾ [(١)].

فأمر عند عدم العلم سؤال أهل الذكر لأنهم الأعلم بحكم الله وحكم رسوله ﷺ،لما قد يسببه الجهل والسؤال لغير العالم من الوقوع في الخطأ وقد يترتب عليه إزهاق روح أو ضياع حق، فعن جابر بن عبدالله – رضي الله عنه – قال: خرجنا في سفر، فأصاب رجلاً منا حجر فشجَه في رأسه، فاحتلم، فسأل أصحابه هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ قالوا: ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء، فاغتسل فمات. فلما قدمنا على النبي ﷺ أخبر بذلك فقال: (قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذا لم يعلموا فإنما شفاء العِيّ السؤال) [(٢)].

فإذا رجع الناس إلى العلماء فيما أشكل عليهم وصدروا عن أقوالهم، فقد غوَروا منابع الغلو وقطعوا موارده، وقد عصمهم الله من الانحراف.

ومن جهل شيئاً من أمور دينه أن يُوجه بسؤال أهل العلم ففي قوله ﷺ (ألا سألوا إذا لم يعلموا وإنما شفاء العي السؤال) أمر منه ﷺ بأن يسألوا إذا جهلوا فأمرهم بذلك ليسلموا من الوقوع في المنكر.

فهذه أهم الأمور الوقائية من الغلو في محبة النبيﷺ .

---

(١) سورة الأنبياء ، آية (٧).

(٢) رواه أبو داود في سننه : (٩٣/١ ن رقم ٣٣٦ . ٣٣٧) كتاب الطهارة ، باب في المجروح يتيمم – حسنه الالباني في صحيح وضعيف سنن ابي داود هذا طرف من الحديث (٣٣٦/١) .

المبحث الثاني

الاحتساب على الغلو في محبة النبي ﷺ

وذلك بالاحتساب على كل ما يفضي إلى الغلو في محبة النبي ﷺ ببيان الأحكام الشرعية المتعلقة بالغلو عامة والغلو في محبة النبي ﷺ خاصة من خلال التالي:

١ . بيان حكم الابتداع في الدين:

يظن البعض من الناس أن له الحق في التعبير عن محبته للنبي ﷺ بما يراه ويستحسنه من الأمور، من غير أن يراعي في ذلك قواعد الشرع وأصوله ،وهذا الصنف من الناس تراه منساقاً مع عواطفه جاعلاً لها حق التشريع في هذا الدين، فتراه يغلو في حق النبي ﷺ حتى كمل به إلى بعض مراتب الألوهية، وتراه يبتدع في دين الله أموراً تصل إلى حد العظائم، وتراه يقدم على الشركيات والكفريات، وكل ذلك بدعوى، محبة النبي ﷺ ولقد حكم الله – عز وجل – بالضلال على هذا الصنف فقال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾[1].

فالمتبعون لعواطفهم وأهوائهم المحكمون لها، لابد وأن يكونوا نابذين لهدي الله المتمثل في الكتاب والسنة، واللذين يشتملان على قواعد هذا الدين وأصوله والتي من ضمنها تحريم الابتداع في الدين والإحداث فيه، وتحريم الغلو بشتى مظاهره وأشكاله، وتحريم الشرك بمختلف صوره وألوانه.

ولذلك حكم الله بضلالهم وغوايتهم وبعدهم عن الصراط المستقيم. فحري بأمثال هؤلاء أن يقلعوا عن غيهم، وأن يتحاكموا في عواطفهم إلى كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ.

فمحبة النبي ﷺ من الدين، وتحقيقها يكون عن طريق ما شرع في هذا الدين، لا عن طريق البدع وما تهواه النفوس فالبدع قد حذرنا نبينا ﷺ منها.

---

(١) سورة القصص ، آية (٥٠).

٢ . بيان حقيقة النبي ﷺ وأنه بشر رسول:

لقد شاء الله العليم الحكيم أن يكون رسله إلى الناس بشر من جنس المرسل إليهم وبلسانهم ليبينوا لهم شرع ربهم، ولتقوم بهم الحجة على الناس، وتنقطع عنهم المعاذير، ويسهل عليهم اتباع رسلهم، والفهم عنهم، كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[1].

وقال تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿ قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثۡلُكُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأۡتِيَكُم بِسُلۡطَٰنٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١١ ﴾[2].

ويوضح الله بعض جوانب هذه البشرية فيقول سبحانه: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ٢٠ ﴾[3] ولم يكن رسول الله ﷺ بدعا من الرسل بل كان بشرا كغيره من الأنبياء والرسل السابقين عليه.

قال تعالى﴿ قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٩ ﴾[4].

وقال تعالى﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠ ﴾[5]، وقال تعالى﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ٦ ﴾ وهذا أبلغ تأكيد من الله على أن الرسول ﷺ بشر مثلنا له كل خصائص البشر وصفاتهم وهو مع ذلك مفضل بالوحي والرسالة.

---

(١) سورة إبراهيم ، آية (٤).

(٢) سورة إبراهيم ، آية (١١).

(٣) سورة الفرقان ، آية (٢٠).

(٤) سورة الأحقاف ، آية (٩).

(٥) سورة الكهف ، آية (١١٠) ، وسورة فصلت, آية (٦).

والآيات القرآنية تثبت بشرية الرسول ﷺ في مواقف كثيرة. وتوضح أنه بشر لم يخرج عن نطاق البشرية، وأن ما أتى به من وحي أو جرى على يديه من آيات فإنما هو بقدرة الله وحده، وأن الرسول لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً إلا أن يشاء الله. قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾[1] وقال تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[2].

وكما أن الرسول لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً فهو من باب أولى لا يملك لغيره الضر والنفع أو الهداية والصلاح ، بل كل ذلك بيد الله وحده.

قال تعالى: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[5].

وقال فيما رواه البخاري عن أم سلمة رضي الله عنها: (إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع، فمن قضيت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار)[6].

ففي الحديث الأول يبين رسول الله ﷺ أنه يتذكر وينسى أحياناً وهذا شأن البشر جميعا، وفي الثاني يؤكد على عدم علمه للغيب بمقتضى طبيعته البشرية إلا أن يطلعه الله على

---

(١) سورة العنكبوت ، آية (٥٠).

(٢) سورة الأعراف ، آية (١٨٨).

(٣) سورة آل عمران ، آيات (١٢٨-١٢٩).

(٤) سورة الجن ، آية (٢١).

(٥) سورة القصص ، آية (٥٦).

(٦) صحيح البخاري ، كتاب الحيل ، باب إذا غصب جارية فزعم أنها ماتت ، ٩ / ٣٢ . ومسلم كتاب الأقضية ، باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة ، ٣ / ١٣٣٧ .

ما شاء من الغيب كما قال تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴾[1].

ومع كون الرسول ﷺ بشراً إلا أن الله – عز وجل– هيأه تهيئة خاصة تتناسب مع هذا الأمر العظيم الذي اصطفى له فكمله في الخلق والخلق، فكان رسول الله ﷺ أكمل البشر في كافة الجوانب البشرية، كما كان أكملهم عبودية لربه وقياما بحقه. فكمال الرسول ﷺ في عبوديته التامة لربه –سبحانه وتعالى–.

٣ . بيان الحكم الشرعي في الغلو في محبة النبي ﷺ :

لقد جاءت نصوص الشرع بإثبات بشرية الرسول ﷺ، وأنه بشر محكوم بقوانين البشرية غير أنه مفضل بخصائص تناسب نبوته ورسالته، ويأتي التأكيد على هذا الأمر لئلا يتطرق الغلو إلى الرسول ﷺ مثلما وقع لليهود مع عزير وللنصارى مع عيسى ابن مريم عليه السلام.

وَقَدْ نَهَى اللَّهُ أَهْلَ الْكِتَابِ – خَاصَةً النَّصَارَى – عَنِ الْغُلُوِّ وحذرهم من سوء عاقبته فقال تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴾[3].

وفي نهي الله لهم تَحْذِيرٌ لهذه الأمة حتى لا تقع فيما وقعت فيه النصارى من الغلو في عيسى، ورفعهم له فوق مرتبته، ووصفه بصفات الألوهية، فوقعوا بسبب ذلك في الشرك والكفر المخرج عن الملة.

---

(١) سورة الجن ، آيات (٢٦-٢٧).

(٢) سورة المائدة ، آية (٧٧).

(٣) سورة النساء ، آية (١٧١).

لأجل هذا نهى الرسول ﷺ عن الغلو في الدين عامة، وفيه خاصة، وذلك في أحاديث كثيرة.

منها ما أخرجه النسائي وابن ماجه واللفظ له بسنده (عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: (قال لي رسول ﷺ غداة العقبة وهو على ناقته: "ألقط لي حصى" فلقطت له سبع حصيات، (هن حصى الخذف) فجعل ينفضهن في كفه ويقول: " أمثال هؤلاء فارموا " ثم قال: " يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين، فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)[١].

قال ابن تيمية – رحمه الله – في شرح هذا الحديث:

قوله: (إياكم والغلو في الدين) عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال. والغلو: مجاوزة الحد، بأن يزاد في حمد الشيء أو ذمه على ما يستحق، ونحو ذلك، والنصارى أكثر غلوا في الاعتقادات والأعمال من سائر الطوائف.

وإياهم نهى الله عن الغلو في القرآن في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾[٢].

سبب هذا اللفظ عام: رمي الجمار. وهو داخل فيه، فالغلو فيه مثل الرمي بالحجارة الكبار، ونحو ذلك، بناء على أنه أبلغ من الحصى الصغار، ثم علل ذلك: بأن ما أهلك من قبلنا إلا الغلو في الدين كما نراه في النصارى. وذلك يقتضي: أن مجانبة هديهم مطلقاً أبعد عن الوقوع فيما به هلكوا، وأن المشارك لهم في بعض هديهم يخاف عليه أن يكون

---

(١) كتاب الحج ، باب التقاط الحصى سنن النسائي ٢٦٨/٥، وصححه ابن حبان كتاب الحج باب رمي جمرة العقبة ، قال صهيب الارناؤوط اسناده صحيح على شرط مسلم ١٨٣/٩. صححه الالباني – رحمه الله – في صحيح وضعيف سنن النسائي (١٢٩/٧).

(٢) سورة النساء ، آية (١٧١).

هالكاً)[1].

ومنها ما أخرجه البخاري بسنده عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم. فإنما أنا عبده ورسوله. فقولوا عبد الله ورسوله)[2] ففي هذا الحديث تحذير واضح لهذه الأمة من الإطراء في مدحه ﷺ حتى لا يفضي ذلك إلى الغلو فيه كما غلت النصارى من قبل في عيسى بن مريم عليه السلام.

والنهي عن الإطراء في هذا الحديث يحتمل أمرين:

- إما النهي عن مطلق المدح، والاقتصار على وصفه بأنه عبد الله ورسوله.
- وإما النهي عن المبالغة في المدح، لئلا يؤدى ذلك إلى وصف الرسول ﷺ بصفات الألوهية. ولكلا الأمرين ما يؤيده من الأحاديث[3].

وبين الرسول ﷺ في هذا الحديث منزلته التي أنزله الله إياها، وهي مرتبة العبودية لله – عز وجل – ثم مرتبة الرسالة التي اصطفاه الله لها.

فأمر الرسول ﷺ أمته أن تصفه بالعبودية والرسالة ولا تتجاوز ذلك إلى غيره من الأوصاف التي تتضمن الإطراء المنهي عنه.

ومع أن هذا الحديث حجة قاطعة في النهي عن الإطراء، وسد باب الغلو في الرسول ﷺ إلا أن الغلاة حاولوا تأويل هذا الحديث بما يبطل معناه، ويؤدى إلى نقيضه، فزعموا أن الإطراء المنهي عنه في هذا الحديث هو إطراء مشابه لإطراء النصارى لعيسى، ووصفهم له بصفات الألوهية والربوبية، وقولهم عنه أنه الله أو ابن الله. وما سوى ذلك من أنواع الإطراء فليس بمذموم بل هو مستحب[4].

فأجازوا إطراء الرسول ﷺ بما دون وصفه بصفات الألوهية والربوبية. وظنوا أن هذا من قبيل التعظيم لرسول الله ﷺ.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ١ / ٢٨٩ – ٢٩٠.

(٢) صحيح البخاري . كتاب الأنبياء . باب قول الله تعالى : « واذكر في الكتاب مريم » ٤ / ٢٠٤.

(٣) انظر: التوسل..أنواعه وأحكامه، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط٥، المكتب الإسلامي،بيروت ، ١٤٠٤.

(٤) انظر الجوهر المنظم في زيارة القبر النبوي ، لابن حجر الهيتمي ص ٦١.

كما قال البوصيري[1] في البردة:

دع ما ادعته النصارى في نبيهم
واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف
وانسب إلى قدره ما شئت من عظم

فإن فضل رسول الله ليس له
حد فيعرب عنه ناطق بفم [2]

وهذا جهل واضح بمعنى الحديث، ومقصود الرسول ﷺ به؛ لأن معناه النهي عن المدح أصلاً، أو النهي عن المبالغة فيه، ثم إن تعظيم الرسول ﷺ لا يكون إلا بما شرعه، ووصفه ومدحه بدون قيد قد يدخل في أنواع من الشرك كالاستغاثة به ﷺ عند الشدائد، وطلب الحاجات منه إلى غير ذلك من أنواع الغلو المفضي إلى الشرك، الذي نهى الله ورسوله عنه.

وليت هؤلاء الغلاة وقفوا في إطرائه ﷺعند هذا الحد ، فلم يصفوه بصفات الألوهية والربوبية كما فعلت النصارى، بل إنه قد وصل بهم الغلو إلى مساواة الرسول ﷺ بالله.

يقول صاحب كتاب النفحات الأقدسية:

(فشأن محمد في جميع تصرفاته هو شأن الله تعالى، فليس لمحمد ﷺ من محمد شيء ولذلك كان نوراً ذاتياً من عين ذات الله) [3] وفي هذا الكلام من الكفر الصريح ما فيه، والذي يناقض ما جاء به الرسول ﷺ من تحقيق التوحيد، وسد الذرائع إلى الشرك.

---

(١) هو: شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجي البوصيري المصري ، شاعر صوفي غال، له عدد من القصائد في المدائح النبوية، وقد عرف عنه قلة علمه، وسلاطة لسانه، وتكففه للناس وقد ذكر محقق ديوانه عددا من الخصال التي تدل على حقيقة الرجل وقدره. انظر: مقدمة ديوان البوصيري بتحقيق محمد سيد كيلاني.

(٢) ديوان البوصيري ، لأبي عبد الله محمد بن سعيد بن حماد البوصيري ص١٩٣تحقيق محمد سيد كيلاني. طبع مصطفى الحلبي مصر ١٣٧٤ هـ.

(٣) النفحات الأقدسية في شرح الصلوات الأحمدية الإدريسية (ص ٩) تأليف : محمد بهاء الدين البيطار ط١ دار الجيل بيروت.

ومن الأحاديث التي وردت في النهي عن الإطراء في المدح ما أخرجه الإمام أحمد بسنده عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – (أن رجلا قال: يا محمد، يا سيدنا، وابن سيدنا، وخيرنا، وابن خيرنا، فقال رسول الله ﷺ "عليكم بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان. أنا محمد بن عبد الله، عبد الله ورسوله والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله – عز وجل –) [1].

وأخرج أبو داود بسنده (عن عبد الله بن الشخير – رضي الله عنه – قال : (انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا: أنت سيدنا فقال: السيد الله تبارك وتعالى. قلنا: وأفضلنا فضلا، وأعظمنا طولا. فقال: "قولوا بقولكم أو ببعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان) [2].

قال الخطابي – رحمه الله – [3] : (وإنما منعهم – فيما نرى – أن يدعوه سيداً، مع قوله «أنا سيد ولد آدم»، وقوله للخرزج «قوموا إلى سيدكم» – يريد سعد بن معاذ – من أجل أنهم قوم حديثو عهد بالإسلام، وكانوا يحسبون أن السيادة بالنبوة كما هي بأسباب الدنيا، وكان لهم رؤساء يعظمونهم، وينقادون لأمرهم، ويسمونهم السادات، فعلمهم الثناء عليه وأرشدهم إلى الأدب في ذلك، فقال: «قولوا بقولكم» يريد قولوا بقول أهل دينكم وملتكم، وادعوني نبياً ورسولاً ، كما سماني الله – عز وجل – في كتابه، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١ ﴾ [4]. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل . بيروت ١ / ١٥٣ ، ٢٤١ ، والحديث صحيح إسناده ابن عبد الهادي . انظر الصارم المنكي في الرد على السبكي . محمد بن أحمد عبد الهادي ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص٢٨٨.

(٢) سنن أبي داود . كتاب الأدب ، باب كراهية المدح ، ٥ / ١٥٤ – ١٥٥ ، والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ، ٣ / ٢٢٦.

(٣) الإمام أبو سليمان حَمْد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي ولد بمدينة بست سنة بضع عشرة وثلاث مئة كان فقيها محدثا أديبا تلقى الحديث في العراق على يد أبو علي الصفار و أبو جعفر الرزاز و غيرهما. حدث عنه: أبو عبد الله الحاكم والإمام أبو حامد الإسفراييني وأبو ذر الهروي وغيرهم. قيل إنه توفي سنة ٣٨٨ بمدينة بست.من مصنفاته:كتاب غريب الحديث ومعالم السنن: شرح سنن أبي داود

(٤) سورة التحريم ، آية (١).

﴿ ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[(١)]، ولا تسموني سيدا كما تسمون رؤساءكم وعظماءكم ولا تجعلوني مثلهم، فإني لست كأحدهم، إذ كانوا يسودونكم بأسباب الدنيا وأنا أسودكم بالنبوة والرسالة، فسموني نبياً ورسولا[(٢)].

فكره رسول الله ﷺ من أصحابه أن يواجهوه بالمدح لئلا يفضي ذلك إلى الغلو، وأخبر أن مواجهة المادح للممدوح بمدحه – ولو بما فيه – من عمل الشيطان؛ لما يقتضيه المدح والإطراء من تعاظم الممدوح في نفسه، وهذا ينافي التوحيد، لأنه يدخل في النفس الكبر والعجب المفسد للاعتقاد والعمل.

كما في الحديث القدسي «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني شيئاً منهما قذفته في النار»[(٣)].وفي الحديث «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»[(٤)].

وهذه الآفات سببها محبة المدح، لأجل هذا كره الرسول ﷺ من أصحابه أن يواجهوه بالمدح والإطراء حتى لا ينافي هذا عبوديته الخالصة لربه، فمقام العبودية يقتضي كراهية المدح أصلا، والنبي ﷺ لما أكمل الله له مقام العبودية صار يكره أن يمدح صيانة لهذا المقام، وأرشد الأمة إلى ترك ذلك نصحاً لهم، وحماية لمقام التوحيد من أن يدخل عليه ما يفسده من الشرك ووسائله ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾[(٥)]. ورأوا أن فعل ما نهاهم الرسول ﷺ عن فعله قربة من أفضل القربات، وحسنة من أعظم الحسنات[(٦)].

وفي قوله ﷺ: «أنا محمد بن عبد الله، عبد الله ورسوله والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله – عز وجل – » دليل قاطع على كراهية الرسول للمدح بما سوى العبودية والرسالة، وأخبر أن هذه هي منزلته الحقيقية التي أنزله الله إياها، وهذا مما يبين أن

---

(١) سورة المائدة ، آية (٦٧).

(٢) معالم السنن للخطابي ، ٥ / ١٥٥.

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب اللباس ، باب ما جاء في الكبر ، ٤ / ٣٥٠ – ٣٥١ . وبنحوه أخرجه مسلم مرفوعا إلى النبي – ﷺ – كتاب البر . باب تحريم الكبر ، ٤ / ٢٠٢٣.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب تحريم الكبر ، ١ / ٩٣.

(٥) سورة البقرة ، آية (٥٩).

(٦) انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص٧٣١ – ٧٣٣.

الغلاة قد سلكوا في غلوهم مسلكاً لا يحبه الرسول ﷺ ولا يرضاه، بل نهي عنه في مواقف كثيرة.

وقد أنكر الرسول ﷺ على من قال له ما شاء الله وشئت فقال له: «أَجَعَلْتَنِي وَاللَّهَ عَدْلًا ؟ بَلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ »[١] كما أنكر على معاذ - رضي الله عنه - حينما هم أن يسجد له[٢]. ومعاذ إنما قصد بذلك تعظيم النبي ﷺ، لكن النبي ﷺأنكر عليه ذلك؛ لأنه لا ينبغي السجود إلا لله وحده، فكل من عظم الرسول ﷺ، بما لم يشرعه فقد غلا فيه وإن ظن أنه بذلك معظماً.

ومن هذا الباب نهيه ﷺ عن اتخاذ قبره عيداً ومسجداً؛ حتى لا تقع الأمة في الشرك. فحقق الرسول ﷺ لأمته التوحيد، وسد كل الذرائع إلى الشرك، وقطع أسبابه، والتي من أعظمها الغلو فيه، لأجل هذا كان الغلو في الرسول ﷺ محرماً لأنه؛ يفضي إلى الشرك والكفر، ولما يتضمنه هذا الغلو من القدح في مقام الألوهية، وتفرد الله بصفات الربوبية.

ولأن فيه تنقيصاً للنبي ﷺ لأن كماله في عبوديته لربه، كما يتضمن الكذب عليه، لأن الرسول ﷺ ما دعا الخلق إلا إلى إفراد الخالق بالعبادة، ولم يدعهم إلى عبادة نفسه ووصفه بصفات الرب كما أنه لم يدع أنه من نور، أو أن له في الكون شيئا من التدبير، أو أنه يعلم الغيب إلى غير ذلك مما يعتقده الغلاة فيه[٣].

بل عد ذلك مما يناقض الدين الذي جاء به، قال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾[٤].

٤ . بيان حكم الاحتفال بمولد النبي ﷺ :

إن من جملة ما نهي النبي ﷺ أمته عنه، وحذرهم منه:

---

(١) المسند ، ١ / ٢١٤ ، والحديث إسناده حسن . انظر السلسة الصحيحة ١ / ٥٦- ٥٧.

(٢) انظر المسند ، ٤ / ٣٨١ ، ٥ / ٢٢٧ - ٢٢٨.

(٣) محبة الرسول بين الاتباع والابتداع ص ٧٤ .

(٤) سورة الأنعام ، آية (٥٠).

١- الابتداع في الدين.

٢- التشبه باليهود والنصارى.

والمقيم للمولد والمشارك فيه واقع في المحظورين معاً. فإقامة المولد من الأمور المحدثة المبتدعة التي لم يشرعها النبي ﷺ لأمته، ولم يفعله أصحابه من بعده بل ولا أهل القرون المفضلة.فما ظنك بعمل لم يأمرنا النبي ﷺ بفعله، ولا حث عليه ولا رغب فيه، وهو المشهود له بأنه ما ترك أمر خير إلا وحث الأمة عليه ورغبهم فيه.

وما ظنك بعمل لم يفعله سلف الأمة، "ولو كان خيرًا محضًا، أو راجحًا لكانوا رضوان الله عليهم أحق منا به، فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله ﷺ وتعظيما له منا، وهم على الخير أحرص" [(١)].

هذا وإن أصل الاحتفال بالمولد يرجع إلى العبيدين[(٢)] الذين يتسمون (بالفاطميين) فهم أول من أحدث هذه البدعة في الأمة وما كانت الموالد تعرف في دولة الإسلام قبل هؤلاء.فقد جاء في كتاب الخطط المسمى كتاب المواعظ والاعتبار والآثار تحت عنوان (ذكر الأيام التي كان الخلفاء الفاطميون يتخذونها أعيادًا ومواسم قال:"كان للخلفاء في طول السنة أعيادًا ومواسم:رأس السنة،وموسم أول العام،ويوم عاشوراء،ومولد النبي ﷺ"[(٣)].

فكانت الموالد من الآثار التي خلفها هؤلاء العبيديين الباطنيين مع غيرها من البدع والمنكرات التي ما أنزل الله بها من سلطان[(٤)].

وقد حمل راية هذه البدعة من بعدهم المتصوفة، الذين وجدوا في إحياء هذه البدعة متنفسًا لنشر باطلهم وبدعهم، وما الطقوس التي تعمل أثناء إقامة المولد إلا أكبر شاهد على

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٢٩٥)..

(٢) العبيديون أبناء عبيد الله بن ميمون بن ديصان المشهور بالقداح اليهودي قامت دولتهم في مصر (٣٦٢- ٥٦٤ هـ) وكانوا من أجرأ الناس على استحداث البدع والمنكر كتاب ولا سنة : انظر كتاب قصة نسب الفاطميين للدكتور عبد الحليم عويس، والبداية والنهاية لابن كثير (١٢/ ٢٦٧). ثم كتاب عويس .

(٣) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (١/٤٩٠)..

(٤) السيرة النبوية بين إشكالية الحدث والقصص الشعبية في ذكرى المولد النبوي ، وليد بن عبدالعظيم آل سنو ، موقع منزل المرأة في الإسلام.

حمل الصوفية لراية هذه البدعة، فقد وجدوا في هذه البدعة مرتعًا خصبًا لنشر غلوهم ورقصهم وطقوسهم[1].

فمما لا شك فيه أن فعل ما يسمى (بالمولد) بدعة من البدع التي لا أساس لها في القرآن ولا في السنة، ولا في عمل السلف الصالح، وهي بالإضافة إلى ذلك لا تحقق المراد من حب الرسول ﷺ، فتحقيق محبته وتعظيمه -كما سبق وأن بينا- هو في متابعته وطاعته واتباع أمره، وإحياء سنته باطناً وظاهراً ونشر ما بعث به والجهاد في ذلك بالقلب واليد واللسان، فهذه هي طريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان.

ويضاف إلى كون فعل هذا الأمر من البدع التي نهى الشارع عنها ما فيه كذلك من مضاهاة ومشابهة للنصارى في ميلاد عيسى عليه السلام، فإن النصارى تحتفل بيوم مولد عيسى ويتخذونه عيداً وذلك بإيقاد الشموع، وصنع الطعام، وارتكاب المحرمات، وفعل الموبقات من شرب للخمور، وفعل الفواحش وغير ذلك من المهازل والقبائح، وفي هذا يقول بعضهم معللا مشروعية الاحتفال بفعل المولد "إذا كان أهل الصليب اتخذوا ليلة مولد نبيهم عيدًا أكبر فأهل الإسلام أولى بالتكريم وأجدر"[2].

ونسى هذا القائل[3] أو تناسى تحذير النبي ﷺ من مشابهة اليهود والنصارى فقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: "لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع حتى لو دخلوا حجر ضب تبعتموهم"

قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟

قال: "فمن" أي فمن هم غير أولئك[4].

---

(١) المصدر السابق والصفحة.

(٢) التبر المسبوك للسخاوي (ص ١٤).

(٣) يعني البوصيري المصري .

(٤) أخرج البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب قول النبي ﷺ "لتتبعن سنن من كان قبلكم". انظر: فتح الباري (٣٠٥/١٣) ح ٧٣٢٠، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى (٥٧/٨).

الفصل الرابع :

الآثار المترتبة على الغلو في النبي ﷺ وآثار الاعتدال في محبته

ويشتمل على مبحثين:

- المبحث الأول: الآثار المترتبة على الغلو في محبة النبي ﷺ .
- المبحث الثاني: الآثار المترتبة على الاعتدال في محبة النبي ﷺ.

المبحث الأول

الآثار المترتبة على الغلو في محبة النبي ﷺ.

آثار الغلو في الرسول ﷺ على الاعتقاد والعبادات الشرعية:

لا شك أن الغلو من أكبر أسباب الانحراف بالدين عن الصراط المستقيم، وقد كان للغلو في الرسول ﷺ أكبر الأثر في إفساد حقائق الدين، وتشويه معالمه، ولم ينحصر هذا الإفساد على جانب دون آخر بل عمَّ الدين كله اعتقاداً وعملاً وسلوكاً، وسأتناول في هذا المبحث الآثار المترتبة على الغلو في محبة النبي ﷺ ومدى تأثيرها عن الدين فيما يتعلق بالاعتقاد والعبادات الشرعية.

أولاً: آثار الغلو في محبة الرسول ﷺ في الاعتقاد:

من الآثار المترتبة على الغلو في محبة النبي ﷺ فيما يختص بالاعتقاد:

١. (الشرك بالله).

يؤمن المسلمون بأن الله متفرد بالخلق، والتدبير، والألوهية، والربوبية، وأن الله واحد لا شريك له في ذاته، وصفاته، وأفعاله، فجاء ملاحدة الصوفية وزعموا أن محمداً ﷺ شريك مع الله في الخلق والتدبير، وكشف الضر وجلب النفع، إلى غير ذلك من صنوف الشرك، وكتب الصوفية وصلواتهم مشحونة بذلك.

يقول البوصيري في البردة التي يترنم بها ملايين الصوفية:

يا أكرم الرسل ما لي من ألوذ به
سواك عند حلول الحادث العمم

ولن يضيق رسول الله جاهك بي
إذا الكريم تحلى باسم منتقم

فإن من جودك الدنيا وضرتها
ومن علومك علم اللوح والقلم[١].

---

(١) ديوان البوصيري . تحقيق محمد سيد كيلاني .

فهذا الشاعر خلع على رسول الله ﷺ من أوصاف الربوبية والألوهية ما لا يليق وصف أحد به إلا الله وحده، فجعل الرسول وحده ملاذه ومعاذه عند حلول الخطوب، ونزول الشدائد، ثم نسب إلى الرسول الشفاعة مطلقا، كما يعتقده المشركون في الشفاعة الشركية التي تكون بدون إذن ولا رضى من المشفوع عنده، وإنما تكون بجاه الشافع ومكانته فقط[1].

ثم نراه يجعل الدنيا والآخرة من جوده، وأن علم اللوح والقلم من بعض علومه وهذا مع ما فيه من الشرك كفر بالله – عز وجل –. لأن كل ما ذكره من أوصاف الربوبية والألوهية لا يجوز بأي حال من الأحوال وصف أي مخلوق بها، وإنما أي من صفات الخالق وحده[2].

٢ . الضلالة عن الهدى .

قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾[3].

قال ابن عباس – رضي الله عنهما – في تفسير هذه الآية: (تضمن الله لمن قرأ القرآن واتبع ما فيه ألا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة)[4].

وفي الحديث عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بها: كتاب الله وسنة نبيه)[5].

وليس أحدٌ ابتدع وغلا في الدين إلا وضل بإعراضه عن التنزيل، وأخذه بالظنون والأهواء فإن كل بدعة ضلالة كما في الحديث عن جابر بن عبدالله – رضي الله عنها – أن رسول الله ﷺ قال: (أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر

---

(١) محبة النبي ﷺ بين الإتباع والابتداع ص ٤٢.

(٢) المصدر السابق ص ١٩٣.

(٣) سورة طه ، آيات (١٢٣-١٢٤).

(٤) رواه الطبري (٢٢٥/١٦) – تفسير الطبري (٢٢٥/١٦) .

(٥) أخرجه مالك في الموطأ ، كتاب القدر ، باب النهي عن القول في القدر (٨٩٩/٢).

الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة)[1]. وفي رواية: (وكل ضلالة في النار)[2]. فقد أبان رسول الله ﷺ أن البدعة ضلالة، لأنها إحداث في دين الله ما لم يشرعه الله ورسوله ﷺ، وأن مصير الضلالة إلى النار[3].

٣. الاختلاف والتفرق بين المسلمين:

إن من مقاصد الشريعة العظمى، وأهدافها الرئيسة، جمع كلمة أهل الإيمان على الحق، وتأليف قلوبهم، ولذلك ورد الأمر بلزوم الجماعة والتحذير من الفرقة، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾[4].

قال الإمام ابن جرير – رحمه الله –: (يريد بذلك –تعالى ذكره–: تمسكوا بدين الله الذي أمركم به، وعهده الذي عهده إليكم في كتابه من الألفة والاجتماع على كلمة الحق والتسليم لأمر الله)[5]. وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٥﴾ يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴾[6].

قال الإمام ابن جرير –رحمه الله–: (ولا تكونوا يا معشر الذين آمنوا كالذين تفرقوا من أهل الكتاب، واختلفوا في دين الله وأمره ونهيه، من بعد ما جاءهم البينات، من حجج الله، فيما اختلفوا فيه، وعلموا الحق فيه، فتعمدوا خلافه، وخالفوا أمر الله، ونقضوا عهده وميثاقه،

---

(١) رواه مسلم في كتاب الجمعة – باب تخفيف الصلاة والجمعة (١١/٣) برقم (٢٠٤٢) .

(٢) رواه النسائي في سننه (١٨٨/٣. ١٨٩) كتاب صلاة العيدين ، باب كيفية الخطبة ، صححه الالباني في صحيح وضعيف سنن النسائي (ع/٢٢٢) برقم (١٥٧٨) .

(٣) انظر مشكلة الغلو (٢/ ٦٦٠. ٦٦١).

(٤) سورة آل عمران ، آية (١٠٢-١٠٣).

(٥) جامع البيان (٤/ ٣٠).

(٦) سورة آل عمران ، آيات (١٠٥-١٠٦).

جرأة على الله، وأولئك لهم: يعني ولهؤلاء الذين تفرقوا واختلفوا من أهل الكتاب من بعد ما جاءهم عذاب من عند الله عظيم. يقول جل ثناؤه: فلا تتفرقوا يا معشر المؤمنين في دينكم تفرق هؤلاء في دينهم، ولا تفعلوا فعلهم، وتستنوا في دينكم بسنتهم فيكون لكم من عذاب الله العظيم مثل الذي لهم)[1].

وفي الحديث الذي رواه ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: (لم يكن الله ليجمع أمتي -أو قال أمة محمد- على ضلالة، ويد الله مع الجماعة) ومن شذَ شذَ في النار)[2].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: (تجد أهل الفلسفة والكلام أعظم الناس افتراقاً واختلافاً من دعوى كل منهم أن الذي يقول حق مقطوع به قام عليه البرهان، وأهل السنة والحديث أعظم الناس اتفاقاً وائتلافاً، وكل من كان من الطوائف إليهم أقرب كان إلى الاتفاق والائتلاف أقرب، فالمعتزلة أكثر اتفاقاً وائتلافاً من المتفلسفة، إذ للفلاسفة في الإلهيات والمعاد والنبوات بل وفي الطبيعيات والرياضيات وصفات الأفلاك من الأقوال ما لا يحصيه إلا ذو الجلال ......) ثم قال: (وأهل الإثبات من المتكلمين - مثل الكلابية والكرامية والأشعرية - أكثر اتفاقاً وائتلافاً من المعتزلة)[3].

ومن أعظم الانحراف عن الدين: الابتداع والغلو. وإنما صار أهل الابتداع فرقاً لأنهم اتبعوا أهواءهم وفارقوا الدين فتشتتوا أهواءهم، وأما من طلب الحق وأعرض عن الهوى فهو وإن اختلف مع من كانوا على مثل منهجه فالاختلاف سائغ لا يؤدي إلى الافتراق، فإنا وجدنا صحابة رسول الله ﷺ يختلفون في أحكام الشرع ، ولكنهم لم يتفرقوا، ولم يصيروا شيعاً لأنهم لم يفارقوا الدين[4].

---

(١) جامع البيان (٤/ ٣٩).

(٢) رواه الترمذي: (٤/٤٦٦) رقم (٢١٦٧) كتاب الفتن : باب ما جاء في لزوم الجماعة.

(٣) الفتاوى (٤/٥١ . ٥٢).

(٤) الموافقات للشاطبي (٤/١٨٥) . ط دار بن الجوزي .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– : (والبدعة مقرونة بالفرقة، كما أن السنة مقرونة بالجماعة، فيقال: أهل السنة والجماعة، كما يقال أهل البدعة والفرقة) [(١)].

٤ . الاستدراك على الشريعة:

إن من سمات هذه الشريعة كمالها وشمولها يقول تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [(٢)].

قال ابن عباس –رضي الله عنه– (أخبر الله نبيه والمؤمنون أنه قد أكمل لهم الإيمان فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً) [(٣)].

وفي تفسير هذه الآية يقول الحافظ ابن كثير –رحمه الله–: (هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة، حيث أكمل تعالى لهم دينهم فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبيّ غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرَمه، ولا دينَ إلا ما شرعه، وكل شيء، أخبر به فهو حق وصدق، لا كذب فيه ولا خلاف كما قال تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [(٤)] ، أي: صدقاً في الأخبار، وعدلاً في الأوامر والنواهي، فلما أكمل لهم الدين تمت عليهم النعمة) [(٥)].

إنه ليس أحد يبتدع في الدين ويغلو إلا وفي غلوه وابتداعه تجرؤ على الشريعة فكأنه يزعم أن الدين غير تام، فلا يبتدع امرؤ بدعة إلا ويحدث أصولاً تناقض الحق، ويقدم تلك

---

(١) الاستقامة (٤٢/١) لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس الناشر : جامعة الإمام محمد بن سعود – المدينة المنورة الطبعة الأولى ، ١٤٠٣ تحقيق : د. محمد رشاد سالم.

(٢) سورة المائدة ، آية (٣).

(٣) ابن جرير في (جامع البيان) (٧٩/٦).

(٤) سورة الأنعام ، آية (١١٥).

(٥) تفسير القرآن العظيم (١٩/٢).

الأصول على ما جاء به الرسول ﷺ فيستدرك على الدين من جهة أصوله ومصادر التلقي فيه، فالغلو والابتداع (مضادة للشارع، ومراغمةٌ له، حيث نصب المبتدع نفسه نصب المستدرك على الشريعة لا نصب المكتفي بما حُدّ له)[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: (وأما أهل البدع من أهل الكلام والفلسفة ونحوهم فلم يثبتوا الحق، بل أصلوا أصولاً تناقض الحق، فلم يكفهم أنهم لم يهتدوا ولم يدلوا على الحق، حتى أصلوا أصولاً تناقض الحق، ورأوا أنها تناقض ما جاء به الرسول ﷺ فقدموها على ما جاء به الرسول ﷺ)[٢].

وحسبك بالاستدراك على الدين والشريعة أثراً سيئاً للغلو والابتداع، فإن في ذلك تجهيلاً لله سبحانه المحيط علمه بكل شيء، وتكذيباً له في قوله: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٣].

ثانياً: آثار الغلو في محبة الرسول ﷺ على العبادات الشرعية:

أدى الغلو في الرسول ﷺ إلى الانحراف بالعبادات عن وضعها الشرعي، وتأويلها، وابتداع عبادات ما أنزل الله بها من سلطان، فبعد أن كان المسلمون يرون أن أعظم أعمالهم بعد الإيمان بالله هو الصلاة وبقية أركان الإسلام جاء غلاة الصوفية فزعموا أن أجل الأعمال هو الإيمان بوحدة الوجود والتحقق بها ، (أي الفناء في ذات الله)، والإيمان بالحقيقة المحمدية، والصلاة عليها بأكثر الصلوات شركاً وكفراً ، وقضاء الأعمار في الخلوات والأذكار المبتدعة، ويؤمن المسلمون بأن أجل ما ورثوه عن رسول الله ﷺ هو هديه وسنته، فجاءت الصوفية

(١) الاعتصام للشاطبي (٦١/٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٨٧/٤).

(٣) سورة المائدة ، آية (٣).

لتزعم بأن أجل ما ورثوه عن رسول الله ﷺ هو الطريقة، والحقيقة، والتصوف الفلسفي بمقاماته واصطلاحاته، وهلم جراً.

أما هديه ﷺ وسنته فلا يعرفونها ولا يرفعون لها رأسا بل يرون أن المشتغلين بالسنة. الداعين إليها هم من ألد خصومهم؛ لأن مهمتهم نشر الهدي ودين الحق الذي فيه إبطال كل خرفات وأباطيل الملاحدة والزنادقة قديماً وحديثاً .

ومن الآثار المترتبة على الغلو في محبة النبي ﷺ في العبادات:

١ . الوقوع في شر من المعصية:

إن أهل الإسلام ينفرون من المعاصي الظاهر كقتل النفس التي حرم الله والزنا والربا والسحر، ولا يعلم كثيرٌ منهم أن الابتداع والغلو شرُ المعاصي، فإن الابتداع والغلو عائدٌ بالإفساد إلى معتقد المرء، وما عاد بالإفساد على المعتقد أعظم مما عاد بالإفساد على العمل، فأهل الابتداع والغلو -في الجملة- شر من أهل المعاصي الشهوانية دلَ على ذلك السنة والإجماع، فالأحاديث في التعامل مع الصنفين شاهدة على الفرق بينهما: فقد أمر النبي ﷺ بقتال الخوارج ففي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم -رحمهما الله- عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- وفيه فجاء رجل.. فقال: يا محمد اتق الله فقال النبي ﷺ: (فمن يطيع الله إذا عصيته فيأمنّي على أهل الأرض ولا تأمنوني) .... قال النبي ﷺ (إن من ضئضيء[1] هذا قوماً يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد)[2]. في هذا الحديث ذمهم بعدم فهمهم التنزيل ومروقهم من الإسلام، وقتلهم أهل الإسلام -وذلك يتضمن تكفيرهم لعموم أهل الإسلام- ثم وعد إن أدركتهم بقتالهم، وأمر بذلك كما في بعض الروايات: (أينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجراً عند الله لمن قتلهم يوم القيامة)[3].

أما أصحاب المعاصي الشهوانية فقد جاءت الأحاديث ناهية عن لعنهم مع إثبات أنه قد يجتمع مع الوقوع في المعصية الشهوانية حبُ الله ورسوله ﷺ فعن عمر بن الخطاب -رضي

---

(١) الضِّئْضِئُ والضُّؤْضُؤُ: الأَصل والمَعْدِنُ .ومعنى قوله يَخْرُج من ضِئْضِئِي هذا أَي من أَصلِه ونَسْلِه.

(٢) رواه البخاري : (٥٢/٨) كتاب استتابة المرتدين ، باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم.

(٣) رواه مسلم (٧٤٦/١ رقم ١٠٦٦) كتاب الزكاة باب التحريض على قتل الخوارج.

الله عنه– أن رجلاً كان على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبدالله، وكان يلقب حماراً وكان يضحك رسول الله ﷺ، وقد جَلَدَه في الشراب، فأتى به يوماً فأمر به فجلد، فقال رجلٌ من القوم: اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به، فقال النبي ﷺ (لا تلعنوه فوالله ما علمتُ أنَه يحب الله ورسوله)[١].

وعن أبي هريرة –رضي الله عنه– في سياق قصة شارب الخمر الذي أمر النبي ﷺ بضربه فضربوه، فلما انصرف قال بعض القوم: أخزاك الله، فقال: (لا تقولوا هكذا لا تعينوا الشيطان على أخيكم)[٢].

فالعصاة إنما أذنبوا بفعل بعض ما نهوا عنه من سرقة أو زنا أو شرب خمر، أو أكل مال بالباطل، وأما أهل البدع فأذنبوا بترك ما أمروا به من اتباع السنة وجماعة المؤمنين. فصاحب المعصية يعلم أنه مذنب ويرغب في التوبة، وصحاب البدعة الذي زين له الشيطان سوء عمله فرآه حسناً فهو لا يرى نفس مذنباً[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– (ومعنى قولهم: إن البدعة لا يتاب منها: أن المبتدع الذي يتخذ ديناً لم يشرعه الله ولا رسوله قد زُيِن له سوء عمله فرآه حسناً فهو لا يتوب ما دام يراه حسناً لأن أول التوبة العلم بأن فعله سيء ليتوب منه، أو بأنه ترك حسناً لأن أول التوبة العلم بأن فعله سيء ليتوب منه ممكنة وواقعة بأن يهديه الله ويرشده حتى يتبين له الحق)[٤].

٢ . الانقطاع عن العمل:

إن الغلو والتشديد على النفس بالزيادة في الطاعات عما شرعه الله ورسوله ﷺ سبب في الانقطاع عن العمل وتكره وعدم القدرة على القيام به، والمداومة على الأعمال الصالحة مقصد من مقاصد الشريعة فإن الأعمال فيها مقسمة إلى فرائض ونوافل كما في حديث أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته

---

(١) رواه البخاري : (١٤/٨) كتاب الحدود ، باب ما يكره من لعن شارب الخمر وأنه ليس بخارجٍ من الملة.

(٢) رواه البخاري : (١٤/٨) كتاب الحدود ، باب الضرب بالجريد والنعال.

(٣) مجموع الفتاوى (٦٨٤/١١–٦٨٥) .

(٤) مجموع الفتاوى (٩/١٠).

بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه)[1].

والعمل الدائم نتيجة إلى مزيد من الأجر والثواب، لأن العبد بدوام العمل القليل تدوم طاعته لربه فتزداد أجوره، أما المكثر المنقطع فيصير إلى قلة في العمل، ومن ثم قلة في الأجر، وفي قول النبي ﷺ (إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا)[2].

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- (وقوله: أي بالثواب على العمل الدائم وإن قل، والمراد تبشير من عجز عن العمل بالأكمل، بأن العجز إذا لم يكن من صنيعه لا يستلزم نقص أجره)[3].

وعن عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: سئل النبي ﷺ أي الأعمال أحبّ إلى الله قال: (أدومها وإن قلَ)[4].

وقد وقعت جملة من الحوادث على عهد النبي ﷺ كان فيها تشديد بعض الصحابة -رضوان الله عليهم- على أنفسهم، فنهاهم النبي ﷺ عن هذا الفعل، وعلل النهي بأن الانقطاع والسآمة والملل مصير المثقل على نفسه المتشدد عليها الموغل في العبادة. فمن ذلك:

١. سؤال النبي ﷺ لعبدالله بن عمرو ، حين قال : والله لأصومن النهار ، ولأقومن الليل ما عشت ، فقلت له : قد قلته بأبي أنت وأمي قال : " فإنك لا تستطيع ذلك ، فصم وأفطر ، وقم ، ونم ، وصم من الشهر ثلاثة أيام ، فإن الحسنة بعشر أمثالها ، وذلك مثل صيام الدهر " ، قلت : إني أطيق أفضل من ذلك ، قال : " فصم يوماً وأفطر يوماً ، فذلك صيام داود عليه السلام ، وهو أفضل الصيام "، فقلت : إني

(١) رواه البخاري : (١٩٠/٧) كتاب الرقاق باب التواضع.

(٢) رواه البخاري : (١٥/١) كتاب الإيمان ، باب الدين يسر من حديث أبي هريرة.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٩٥/١) المؤلف : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر : دار المعرفة - بيروت ، ١٣٧٩ تحقيق : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي.

(٤) رواه مسلم / (٧٢/٦) كتاب صلاة المسافرين ، باب فضيلة العمل الدائم.

أطيق أفضل من ذلك ، فقال النبي ﷺ: (لا أفضل من ذلك)[1] .

ولذلك لما كبر عبدالله بن عمرو بن العاص –رضي الله عنهما– قال: وددت أني كنت قبلت رخصة رسول الله ﷺ.

٢. وعن أنس بن مالك –رضي الله عنه– قال: دخل النبي ﷺ المسجد، فإذا حبلٌ ممدود بين سارتين فقال: (ماهذا الحبل؟) قالوا: هذا حبل لزينب، فإذا فترت تعلقت به، فقال: (لا حلوه، ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليرقد)[2] .

فنهى النبي ﷺ عن التشديد على النفس وتكليفها ما لا تطيق من الأعمال وقال: ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليرقد؛ لأن النفس تمل، ثم ينقطع الإنسان عن العمل، بسبب الغلو في العبادة والتشديد على النفس.

٣. التشبه بالنصارى في غلوهم في نبيهم وكفرهم بالله:

فإن في الغلو في النبي ﷺ مشابهة للنصارى في غلوهم في نبي الله عيسى ابن مريم والله جل وعلا نهى من كان قبلنا من أهل الكتاب عن الغلو فقال: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ ﴾[3] . وقال: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[4] .

(١) صحيح البخاري كتاب الصوم ، باب صيام الدهر (٣/٤٠) .

(٢) رواه البخاري : (٢/٦٧) كتاب التهجد ، باب ما يكره من التشديد في العبادة.

(٣) سورة النساء ، آية (١٧١).

(٤) سورة المائدة ، آية (٧٧).

قال ابن القيم: "ومن أسباب عبادة الأصنام الغلو في المخلوق وإعطاؤه فوق منزلته حتى جعل فيه حظ من الإلهية وشبهوه بالله سبحانه وهذا هو التشبيه الواقع في الأمم الذي أبطله الله سبحانه وبعث رسله وأنزل كتبه بإنكاره والرد على أهله"[١].

وعن بن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: (إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين)[٢].

ولخطر الغلو في الأنبياء وخاصة نبينا محمد ﷺ (فقد امتلأ القرآن ببيان بشريته) وعبوديته لخالقه سبحانه، فقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾[٣]. وذكره سبحانه بصفة العبودية في عدة آيات فقال: ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[٤].

وقال: ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾[٥].

كما حذر النبي ﷺ أمته من الغلو فيه والتجاوز في إطرائه ومدحه. ففي صحيح البخاري من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله»[٦]. والإطراء: هو المدح

---

(١) إغاثة اللهفان (٢/٢٢٦).

(٢) رواه أحمد مسند ٥ ، مسند عبد الله بن العباس (١/٢١٥) رقم (١٨٥) قال شعيب الارناؤوط : اسناده صحيح على شرط مسلم ٢١٥١/١, ٣٤٧ وابن خزيمة باب فصل يوم النحر ٨٦٧/٤ /٢٨٦٨ وابن ابي عاصم ٩٨ وقال شيخ الإسلام في اقتضاء الصراط ٢٩٣/١ صحيح على شرط مسلم.

(٣) سورة الكهف ، آية (١١٠).

(٤) سورة الإسراء ، آية (١).

(٥) سورة النجم ، آية (١٠).

(٦) صحيح البخاري برقم (٣٤٤٥) ، وبنحوه الإمام أحمد في المسند : ١ / ٢٣.

بالباطل ومجاوزة الحد في المدح ذكره ابن الأثير[1]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فراجعه في بعض الكلام فقال: ما شاء الله وشئت! فقال رسول الله ﷺ: « أجعلتني لله ندًّا بل ما شاء الله وحده»[2].

وفي صحيح مسلم عن جندب بن عبد الله البجلي قال: سمعت رسول الله قبل أن يَموت يقول: ((ألاَ وإنَّ مَن كان قبلكم كانوا يتَّخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإنِّي أنهاكم عن ذلك))[3].

وهذه الأحاديث من أعظم ما يدل عَلَى حرص النبي ﷺ عَلَى حماية جناب التوحيد، وسده لكل ذريعة توصل إِلَى الشرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بأي صورة من الصور، فحذر النبي ﷺ من الغلو فيه وإنزاله فوق منزلته، مما يختص به الرب -عز وجل- فكان الغلو في النبي ﷺ مشابه لغلو النصارى في نبي الله عيسى ابن مريم حيث غلو فيه وجعلوه شريكاً لله فعبدوه مع الله قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[5].

ومن التشبه بالنصارى الاحتفال بمولد النبي ﷺ كما تفعل النصارى باحتفالهم بمولد المسيح عيسى ابن مريم.

(١) أصول الايمان في ضوء الكتاب والسنة إعداد نخبة العلماء (ج١/٢٣٩) وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف – الرياض .

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند : ١ / ٢١٤ ، حسنه الالباني في السلسة الصحيحة (٢٦٦/١) .

(٣) صحيح مسلم (٥٣٢)، وفيه: ((قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد)).

(٤) سورة المائدة ، آية (١٧).

(٥) سورة المائدة ، آية (٧٢-٧٧) .

٤ . البعد عن الله –عز وجل–.

إن من أهداف الغلاة في محبة النبي ﷺ: التقرب إلى الله – عز وجل – ، والظن بأن الفعل الذي يفعله مشروع يقرب إلى الله تعالى، ففي حديث أنس بن مالك . رضي الله عنه . قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال الآخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الآخر: أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء الرسول ﷺ فقال: (أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني) [(١)].

فظاهر الحديث أن مراد هؤلاء الصحابة –رضوان الله عليهم– هو: التقرب إلى الله بهذا الفعل، فالواقع في الغلو يريد في الأصل التقرب لله بهذه البدعة لكنه نسي أن الاجتهاد والإخلاص وحدهما لا يكفي فلا بد من متابعة لأمر الرسول ﷺ واقتداء بهديه ﷺ، ولذلك فإن الخوارج الغلاة يمرقون من الدين مع ظنهم أنهم يتقربون إلى الله بفعلهم، فعن أبي سعيد الخدري . رضي الله عنه . قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يخرج في هذه الأمة قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز حلوقهم –أو حناجرهم– يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية فينظر الرامي إلى سهمه إلى نصله[(٢)] إلى رصافه فيتمارى في الفوق هل علق بها من الدم شيء) [(٣)].

فهؤلاء الخوارج كانوا أهل عبادة كما قال النبي ﷺ: (يحقر أحدكم صلاته مع صلاته وصيامه مع صيامه) ولكنهم أيضاً أهل ضلالة، لأنهم لم يكونوا أهل اقتداء بالرسول ﷺ، إلى غير ذلك من الآثار المترتبة على الغلو في محبة النبي ﷺ.

---

(١) رواه البخاري : (١١٦/٦) كتاب النكاح ن باب الترغيب في النكاح.

(٢) النصل (بنون فصاد ، حديدة السهم، هل ترى فيه شيئا من أثر الصيد دم أو نحوه ؟) فلا ترى شيئا(فيه) وتنظر في القدح (بكسر القاف وسكون الدال وحاء مهملتين ، خشب السهم أو ما بين الريش والسهم ، هل ترى أثرا ؟) فلا ترى شيئا (فيه)وتنظر في الريش (الذي على السهم) فلا ترى شيئا (فيه) وتتمارى (بفتح الفوقيتين ، أي تشك) في الفوق (بضم الفاء ، وهو موضع الوتر من السهم ، أي تتشكك هل علق به شيء من الدم ؟ وفي رواية : وينظر ويتمارى ، بالتحتية أي الرامي ، والمعنى أن هؤلاء يخرجون من الإسلام بغتة كخروج السهم إذا رماه رام قوي الساعد فأصاب ما رماه فنفذ بسرعة بحيث لا يعلق بالسهم ولا بشيء منه من المرمي شيء ، فإذا التمس الرامي سهمه لم يجده علق بشيء من الدم ولا غيره.

(٣) رواه البخاري : (٥٢/٥) كتاب استتابة المرتدين ، باب الخوارج والمحدين بعد إقامة الحجة عليهم.

المبحث الثاني

الآثار المترتبة على الاعتدال في محبة النبي ﷺ.

من المعلوم أن الاعتدال في محبة النبي ﷺ يترتب عليه حفظ الأمور العقدية والعبادية وغيرها من أركان الدين الحنيف، وسأذكر هنا الآثار والنتائج المترتبة على الاعتدال في محبة النبي ﷺ فيما يتعلق بالاعتقاد والعبادات الشرعية.

أولاً: في الاعتقاد:

من الآثار المترتبة على الاعتدال في محبة النبي ﷺ فيما يختص بالاعتقاد:

١- تحقيق العبودية لله:

الاعتدال في محبة النبي ﷺ فيها تحقيق العبودية لله -عزوجل - قال تعالى ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [1]. وفي قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [2].

أي: (يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه، وهو محبته إياكم، وهو أعظم من الأول، كما قال بعض الحكماء العلماء: ليس الشأن أن تُحِبّ، إنما الشأن أن تُحَبّ، وقال الحسن البصري وغيره من السلف: زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية) [3]، (فلا يكون محبًا للّه إلا من يتبع رسوله ﷺ، وطاعة الرسول ومتابعته تحقيق للعبودية للّه بكل وجه، وهو تحقيق محبة اللّه بكل درجة، وبقدر تكميل العبودية تكمل محبة العبد لربه، وتكمل محبة الرب لعبده، وبقدر نقص هذا يكون نقص هذا، وكلما كان في القلب حب لغير اللّه، كانت فيه عبودية لغير اللّه بحسب ذلك، وكلما كان فيه عبودية لغير اللّه كان

---

(١) سورة آل عمران ، آية (٣١-٣٢).

(٢) سورة آل عمران ، آية (٣١).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٢/٣٢).

فيه حب لغير اللّه بحسب ذلك، وكل محبة لا تكون للّه فهي باطلة، وكل عمل لا يراد به وجه اللّه فهو باطل، ولا يكون للّه إلا ما أحبه اللّه ورسوله، وهو المشروع، فكل عمل أريد به غير اللّه لم يكن للّه، وكل عمل لا يوافق شرع اللّه لم يكن للّه، بل لا يكون للّه إلا ما جمع الوصفين، أن يكون للّه، وأن يكون موافقًا لمحبة اللّه ورسوله، وهو الواجب والمستحب [(١)]، كما قال: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾ [(٢)].

فلابد من العمل الصالح، وهو الواجب، والمستحب، ولابد أن يكون خالصًا لوجه اللّه تعالى، كما قال تعالى: ﴿ بَلَىٰۚ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ [(٣)].

وقال النبي ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى اللّه ورسوله، فهجرته إلى اللّه ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه) [(٤)] .وهذا الأصل هو أصل الدين، وبحسب تحقيقه يكون تحقيق الدين، وبه أرسل اللّه الرسل، وأنزل الكتب، وإليه دعا الرسول، وعليه جاهد، وبه أمر، وفيه رغب، وهو قطب الدين الذي تدور عليه رحاه [(٥)] .

٢ . التوفيق للهداية وإتباع أمر الله ورسوله:

إن من علامة توفيق الله لعبده في هذه الحياة، أن يسير على وفق كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ في أقواله وأفعاله وتصرفاته، وفي القرآن وردت آيات آمرة بإتباع رسوله ﷺ والتأسي به في مواطن متعددة من كتابه العزيز، ففي الاعتدال في محبته وطاعته وإتباعه التوفيق للهداية وإتباع أمر الله ورسوله ﷺ ومن ذلك:

---

(١) شرح العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية ،عبد العزيز بن عبد الله الراجحي ،ص ١٣٥ .

(٢) سورة الكهف ، آية (١١٠).

(٣) سورة البقرة ، آية (١١٢).

(٤) رواه البخاري في صحيحه كتاب بدء الوحي باب بدء الوحي رقم: ١

(٥) موسوعة الرد على الصوفية لابن تيمية (١٨٤/ ١٩٦).

أ- قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].

ب- وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[2].

ج- وقال تعالى: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[3].

د- وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[4].

وهذه الآيات تضمنت توجيهات عظيمة يجب على المسلم تدبرها ففي الآية الأولى جعل الله الإتباع سبيلا إلى نيل حبه ووسيلة إلى تحقيق رضاه وحصول غفرانه، إذ بإتباع الرسول ﷺ يحصل حب الله تعالى ورضاه ومثوبته، فالخير كل الخير في إتباعه والشر كل الشر في مخالفته والابتعاد عن سنته.

فالإتباع هو دليل المحبة وبرهانها، وبتحققه تكون المحبة التي هي إحدى ثمراته كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[5] كما أن من ثمراته غفران الذنوب كما جاء في هذه الآية نفسها: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[6].

---

(١) سورة آل عمران آية (٣١).

(٢) سورة الأعراف ، آية (١٥٨).

(٣) سورة الحشر ، آية (٧).

(٤) سورة الأحزاب ، آية (٢١).

(٥) سورة آل عمران ، جزء الآية (٣١).

(٦) سورة آل عمران ، جزء الآية (٣١).

وهذه المنزلة والمكانة للاعتدال في محبة النبيﷺ وإتباعه نابعة من كون هذا الإتباع إنما هو في الحقيقة إتباع لله، إذ الرسول إنما جاء بهذا الدين من عند الله – عز وجل – فهو شرع الله ودينه الذي أوحاه لرسوله ﷺ ليبلغه للعباد، فالرسول إنما هو مبلغ عن الله ولم يأت بشيء من عند نفسه قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [(1)] الآية، ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴾ .

وقال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [(2)].

وفي الآية الأخرى وهي قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾ [(3)].

جاء الأمر بالإتباع عقب الأمر بالإيمان تأكيدا على وجوب إتباع النبي ﷺ وإلا فإن الإتباع داخل في الإيمان والمتمسك بالقرآن الكريم موفق للهداية بإذن الله لكل خير، وقد استنار بالنور الذي يبدد ظلام الجهل ويهدي صاحبه إلى سواء الصراط.

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [(4)].

فمن تمسك بالاعتدال في محبة النبي ﷺ في جميع شؤونه، فقد اهتدى كل الهدى، ومن اهتدى بهدى الله فقد فاز في دنياه وأخراه.

---

(١) سورة الكهف ، آية (١١٠). وسورة فصلت, آية (٦).

(٢) سورة البقرة ، آية (٢٨٥).

(٣) سورة الأعراف ، آيات (١٥٨).

(٤) سورة الشورى ، آية (٥٢-٥٣).

قال تعالى: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ ﴾[(١)].

وقال تعالى عن المتمسك بهداه: ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾[(٢)].

وقال تعالى: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾[(٣)].

فقد تكفل الله تعالى لمن تمسك بالاعتدال في محبة النبيﷺ بألا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة.

٣- اجتماع كلمة المسلمين:

فإن في الاعتدال في محبة النبي ﷺ وطاعته جمع لكلمة المسلمين وسبب لقوتهم وعمل بما جاء به من الأمر والنهي والتمسك بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، فقد ذكر الله تعالى في كتابه وجوب طاعة الله ورسوله وأنها سبب في وحدة المسلمين وجمع كلمتهم وأن المخالفة سبب للفرقة والتنازع فقال: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[(٤)].

قال الطبري في تفسير هذه الآية: "يقول تعالى ذكره للمؤمنين به: أطيعوا أيها المؤمنون، ربَّكم ورسوله فيما أمركم به ونهاكم عنه، ولا تخالفوهما في شيء "ولا تنازعوا فتفشلوا"، يقول: ولا تختلفوا فتفرقوا وتختلف قلوبكم "فتفشلوا"، يقول: فتضعفوا وتجبنوا "وتذهب ريحكم"[(٥)].

---

(١) سورة البقرة ، آية (١-٥).

(٢) سورة البقرة ، آية (٣٨).

(٣) سورة طه ، آية (١٢٣).

(٤) سورة الأنفال ، آية (٤٦).

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري (١٣/ ٥٧٥).

وقال تعالى في موطن آخر في كتابه العزيز: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [١].

هذا أمر من الله لعباده المؤمنين أن يتقوه حق تقواه، وأن يستمروا على ذلك ويثبتوا عليه ويستقيموا إلى الممات، فإن من عاش على شيء مات عليه، فمن كان في حال صحته ونشاطه وإمكانه مداوماً لتقوى ربه وطاعته، منيباً إليه على الدوام، ثبته الله عند موته ورزقه حسن الخاتمة، ثم أمرهم تعالى بما يعينهم على التقوى وهو الاجتماع والاعتصام بدين الله، وكون دعوى المؤمنين واحدة مؤتلفين غير مختلفين، فإن في اجتماع المسلمين على دينهم، وائتلاف قلوبهم يصلح دينهم وتصلح دنياهم وبالاجتماع يتمكنون من كل أمر من الأمور، ويحصل لهم من المصالح التي تتوقف على الائتلاف ما لا يمكن عدها، من التعاون على البر والتقوى، كما أن بالافتراق والتعادي يختل نظامهم وتنقطع روابطهم ويصير كل واحد يعمل ويسعى في شهوة نفسه، ولو الباطل، والهدى من الضلال ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [٢]. بمعرفة الحق والعمل به، وفي هذه الآية ما يدل أن الله يحب من عباده أن يذكروا نعمته بقلوبهم وألسنتهم ليزدادوا شكرا له ومحبة، وليزيدهم من فضله وإحسانه، وإن من أعظم ما يذكر من نعمه نعمة الهداية إلى الإسلام، واتباع الرسول ﷺ واجتماع كلمة المسلمين وعدم تفرقها [٣].

٤ . اليقين بكمال الشريعة والتسليم والانقياد

من الآثار المترتبة على الاعتدال في محبة النبيﷺ اليقين بكمال الشريعة والتسليم والنقياد لله عزوجل، حيث إن الله سبحانه وتعالى شرع لعباده خير الدين، وأرسل به أفضل الرسل، وأنزل به أفضل الكتب، وارتضاه للناس وقال فيه: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ

---

(١) سورة آل عمران ، آية (١٠٢-١٠٣).

(٢) سورة الزخرف ، آية (١٠).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، العلامة عبدالرحمن السعدي، ص١٤٢، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق .

ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [(١)].

وقد نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ يوم الجمعة، العاشر من شهر ذي الحجة وهو واقف بعرفة بعد أن صلى الظهر والعصر جمعاً وقصراً ووقف في الموقف، وكان ذلك في العام العاشر من الهجرة، ولم يعش النبي ﷺ بعد نزولها إلا اثنين وثمانين يوماً، وقد بكى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما أنزلت هذه الآية، فقيل له: ما يبكيك؟! فقال: لم يتم شيء إلا نقص [(٢)].

وقد صح عنه رضي الله عنه أن حبراً من اليهود أتاه فقال: (يا أمير المؤمنين! آية في كتابكم لو علينا معاشر اليهود أنزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، فقال: وما هي؟ فقال: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [(٣)]. فقال عمر: أما إنها أنزلت يوم الجمعة ورسول الله ﷺ واقف بعرفة) [(٤)].

إن هذه الآية قد حددت أن الدين المرضي عند الله هو ما جاء به محمد ﷺ، وأنه لا يمكن أن يزداد بعد رسول الله ﷺ ولا أن ينقص منه، ولذلك قال مالك رحمه الله: قد أنزل الله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً [(٥)].

---

(١) سورة المائدة ، آية (٣).

(٢) البداية والنهاية البداية والنهاية ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، (١٨٩/٥)تحقيق :علي شيري .

(٣) سورة المائدة ، آية (٣).

(٤) رواه البخاري ٥ / ١٢٧ انظر صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل البخاري ، دار الفكر . بيروت.

(٥) الاعتصام،للشاطبي، الجزء الأول ، ص ٤٩ ، المكتبة التجارية الكبرى – مصر.

ومن هنا: فكل ما يزيده الناس وكل ما ينقصونه من الدين فإنما هو إما إفراط وإما تفريط، فالإفراط بالزيادة في الدين والتفريط بالنقص منه والتقصير عما طلب فيه، وكلا الأمرين مقيت شرعاً، والتوسط بينهما هو العدل الذي به قامت السماوات والأرض، وهو الذي أنزل الله به الوحي على رسوله ﷺ، وهو الذي ارتضى من عباده، فكل ما شرعه الله لعباده فهو المصلحة المتوسطة التي تراعي أمور الدنيا وأمور الآخرة، وتراعي حقوق الأفراد، وتراعي حقوق الجماعات، وتراعي حقوق الرب جل وعلا وحقوق العبد، وهذه الأمور لا يمكن أن يراعيها مشرع إلا العليم الخبير اللطيف الذي يعلم السر وأخفى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾[1].

من هنا فلا يمكن أن يأتي أحد بأعدل مما شرعه الله لعباده، ولا يمكن أن يأتي بما هو مصلحة إلا ما شرع الله لعباده، فكل ما شرعه الله لعباده فهو مصلحتهم، لكن قد يغيب عن الإنسان وجه المصلحة فيه؛ لأنه لا يخطر بباله ما يتعلق بالآخرة، فيظن أن المصلحة مقصورة على أمور الدنيا فقط، وإذا عرفنا هذا أدركنا أن كل ما شرعه لنا ربنا سبحانه وتعالى فهو عين المصلحة لنا وإن خفي علينا ذلك، وأن علينا أن نرضى بكل ما شرعه الباري سبحانه وتعالى بكل استسلام وطمأنينة، وأن نعلم أنه سبحانه وتعالى غني عنا وعما يصيبنا وعما يعطينا، فهو الغني الحميد لا يصل إليه نفع ولا ضر من عباده.

ثانياً: آثار الاعتدال في محبة الرسول ﷺ فيما يختص بالعبادات الشرعية:

١ – التوفيق لطاعة الله ورسوله:

إن من آثار الاعتدال في محبة النبيﷺ التوفيق لطاعة الله ورسوله، يقول الله تعالى:

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾[2].

فإن من عمل بما أمره الله به ورسوله ﷺ، وترك ما نهاه الله عنه ورسوله ﷺ، فإن الله – عز وجل– يسكنه دار كرامته، ويجعله مرافقاً للأنبياء ثم لمن بعدهم في المرتبة، وهم الصديقون،

---

(١) سورة الملك الجزء (١٤).

(٢) سورة النساء ، آية (٦٩).

ثم الشهداء، ثم عموم المؤمنين وهم الصالحون الذين صلحت سرائرهم وعلانيتهم، ثم أثنى عليهم تبارك وتعالى فقال: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ﴾[1].

وأعظم من هذا كله بشارة زفها رسول ﷺ حين سئل عن الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم، فقال: (المرء مع من أحب) قال أنس: فما فرح المسلمون بشيء فرحهم بهذا الحديث[2].

٢ – المداومة على الأعمال الصالحة:

فإن في الاعتدال في محبة النبي ﷺ سبب للمداومة على الأعمال الصالحة وهي سبب لمحبة الله تعالى للعبد وولايته كما قال عليه الصلاة والسلام: إن الله تعالى قال: "من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه"[3].

و قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ﴿١٧﴾ ﴾[4].

جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡقَٰنِتِينَ ﴾ المطيعين، المصلين، والقنوت: عبارة عن الدوام على الطاعة والمواظبة عليها، ﴿ وَٱلۡمُنفِقِينَ ﴾ أموالهم في طاعة الله، ويدخل فيه إنفاق المرء على نفسه، وأهله، وأقاربه، وصلة رحمه، وفي الزكاة، والجهاد، وسائر وجوه البر.

---

(١) سورة النساء، آية (٦٩).

(٢) صحيح البخاري . كتاب الأدب ، باب علامة حب الله عز وجل ، ٨ / ٤٨- ٤٩ . ومسلم . كتاب البر والصلة . باب المرء مع من أحب ، ٤ / ٢٠٣٢.

(٣) صحيح البخاري (١٢٥) كتاب الرقاق باب التواضع (٥/٢٣٨٤/٦١٣٧) .

(٤) سورة آل عمران ، آية (١٦-١٧).

ومن المعلوم أن الغلو سبب في إنقطاع العبد عن العبادة بسبب الملل والتشديد على النفس بعبادات لم يشرعها الله ولا رسوله ﷺ فقد قال النبي ﷺ: (إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا) [١].

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- (وقوله: أي بالثواب على العمل الدائم وإن قل، والمراد تبشير من عجز عن العمل بالأكمل، بأن العجز إذا لم يكن من صنيعه لا يستلزم نقص أجره) [٢].

وقد وقعت جملة من الحوادث على عهد النبي ﷺ كان فيها تشديد بعض الصحابة -رضوان الله عليهم- على أنفسهم، فنهاهم النبي ﷺ عن هذا الفعل، وعلل النهي بأنه الانقطاع والسآمة والملل مصير المثقل على نفسه المتشدد عليها الموغل في العبادة. [٣]

وبهذا يتبين أن الاعتدال في المحبة للنبي ﷺ سبب في دوام العبد على الطاعة والعبادة.

ففي قوله ﷺ: (أحب الأعمال إلى الله أدومه وإن قل) [٤]، وقالت عائشة رضي الله عنها لما سئلت عن عمله صلى الله عليه وآله وسلم قالت: (كان عمله ديمة) [٥] وكان آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم إذا عملوا عملاً أثبتوه.

٣- الاقتداء بالنبي ﷺ وموافقة منهج السلف الصالح:

فإن صحابة رسول الله ﷺ حين جعلوا منه ﷺ قدوة لهم بالالتزام بسنته ومن بعدهم التابعون لهم بإحسان وساروا على منهجه متمسكين بسنته وبقوا على الحق في وجه الفتن والبدع استحقوا بذلك وصفهم بالسلف أهل السنة والجماعة، ولقب به اللاحقون ممن اتبعوا منهج رسول الله ﷺ من العلماء والمصلحين والأئمة المهديين مما تمسك بمنهج أهل السنة

---

(١) رواه البخاري : (١/١٥) كتاب الإيمان ، باب الدين يسر من حديث أبي هريرة.

(٢) الفتح : (١/٩٥).

(٣) فمن ذلك قول النبي ﷺ لعبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ حين قال: والله لأصومن النهار ولأقومن الليل ما عشت. فقال النبي ﷺ (فإنك لا تستطيع ذلك) ،ولذلك لما كبر عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ قال: وددت أني كنت قبلت رخصة رسول الله ﷺ.

(٤) صحيح البخاري (٦٤٦٥).

(٥) صحيح البخاري (٦٤٦٦) باب القصة والمز.... على العمل كتاب الرقاق .

والجماعة، وعلى هذا المنهج ساروا لا تتغير أحوالهم، ولا تتبدل أقوالهم على مر العصور، وذلك برهان على سلامة منهجهم قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[1].

وقال تعالى في كتابه العزيز: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[2].

جاء في تفسير هذه الآية لقد كان لكم -أيها المؤمنون- في أقوال رسول الله ﷺ وأفعاله وأحواله قدوة حسنة تتأسون بها، فالزموا سنته، فإنما يسلكها ويتأسى بها مَن كان يرجو الله واليوم الآخر، وأكثرَ مِن ذكر الله واستغفاره، وشكره في كل حال[3].

وجاء في حديث العرباض بن سارية قوله ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ»[4].

وقد بشر النبي ﷺ المتمسكين بسنته من أمته بأعظم بشارة وأشرف مقصد يطلبه كل مؤمن ويسعى إلى تحقيقه من كان في قلبه أدنى مسكة من إيمان ألا وهو الفوز بدخول الجنة. جاءت هذه البشرى في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى. قالوا ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»[5]. وأي إباء ورفض للسنة أعظم من مخالفة أمره ﷺ؟ وذلك بالإحداث والابتداع في الدين.

٤ - القرب من الله ونيل محبته:

من آثار الاعتدال في محبة النبي ﷺ قرب العبد من ربه ونيل محبته ، حيث إن الغاية من عبادة الله أن يحبك الله -عز وجل- وليست الغاية أن تحب الله -عز وجل-، فالمؤمن

---

(١) سورة النساء ، آية (٨٢).

(٢) سورة الأحزاب ، آية (٢١).

(٣) التفسير الميسر (٧/ ٣٣١).

(٤) سنن الترمذي باب الأخذ بالسنة واجتناب البدع (٥/٤٤) ، (٢٦٧٦) ، وصححه الالباني في صحيح الألباني في صحيحه ، ..... الترمذي (١٧٦/٦) برقم (٢٦٧٦) .

(٥) صحيح البخاري برقم (٧٢٨٠)..

يسعى لهذه الغاية ويتمنى تحققها والفوز بها وطاعة النبي ﷺ سبيل للقرب من الله ونيل محبته ومغفرة للذنوب قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾[1] [2].

فالآية هنا إشارة إلى ثمرة المحبة ﴿ يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ ﴾ قال ابن القيم -رحمه الله- عند هذه الآية " فجعل سبحانه متابعة رسوله سببا لمحبتهم له، وكون العبد محبوبا لله أعلى من كونه محبا لله، فليس الشأن أن تحب الله ولكن الشأن أن يحبك الله".[3]

وقد وصف الله سبحانه نفسه في كتابه العزيز بأنه يحب عباده المؤمنين، ويحبونه، وأخبر أنهم أشد حبا لله ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾[4] [5] ووصف نفسه بأنه الودود ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴾[6] والودود هو الحبيب، والود خالص الحب، فهو يود عباده المؤمنين ويودونه[7].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾[8].

قال بعض السلف في تفسيرها يحبهم ويحببهم إلى عباده[9].

وفي الصحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا

---

(١) سورة آل عمران، آية (٣١).

(٢) الجامع الفريد (ص ٢٨٢)..

(٣) روضة المحبين ونزهة المشتاقين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية،ص ٢٦٦ .

(٤) سورة البقرة، آية (١٦٥).

(٥) كتاب الولاء والبراء (ص ٣٤٤).

(٦) سورة البروج، آية (١٤).

(٧) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، ص ٤٠٩

(٨) سورة مريم، آية (٩٦).

(٩) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، ص ٤١٢

يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر -بعد إذ أنقذه الله منه- كما يكره أن يلقى في النار"[1].

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "يقول الله تعالى: من عادى لي وليا فقد أذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي من أداء ما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه"[2].

فدل الحديث على أن السابق بالخيرات أحق وأعظم ولاية لله - عز وجل- من الذي يتقرب إلى الله بالفرائض.

قال : «وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه»، وما افترضه الله -عز وجل- على العباد أوامر يمتثلها ونواه يجتنبها، فيتقرب إلى الله بفعل المأمور، ويتقرب إلى الله -عز وجل- بترك المنهي المحرم.

والسابقون بالخيرات أطوع وأتبع للقرآن من المقتصدين، فنصيبهم من الولاية وهي محبة الله -عز وجل- لهم ونصرته لهم أعظم من نصيب المقتصد.

وفي الصحيحين عنه أيضا عن النبي ﷺ: "إذا أحب الله العبد دعا جبريل، فقال: إني أحب فلانا فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء، إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض"[3] وذكر في البغض عكس ذلك.

---

(١) صحيح البخاري باب من كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار من الإيمان (١ / ١٦).

(٢) صحيح البخاري . كتاب الرقاق . باب التواضع ، ٨ / ١٣١.

(٣) رواه البخاري (٧٤٨٥)، ومسلم باب إذا احب الله عبداً (٣٦٣٧)كتاب البر صلة والأدب عن أبي هريرة.

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنهما في حديث أمير السرية الذي كان يقرأ (قل هو الله أحد) لأصحابه في كل صلاة، وقال: لأنها صفة الرحمن، فأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي ﷺ: "أخبروه أن الله يحبه"[1].

والقرآن والسنة مملوآن بذكر من يحبه الله سبحانه من عباده المؤمنين، وذكر ما يحبه من أعمالهم وأقوالهم وأخلاقهم.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب التوحيد باب ما جاء في .... (٦/٢٦٨٦) ، (٦٩٤٠) ومسلم في صحيحه كتاب صلاة المسافرين فضل قراءة قل هو الله أحد (٢/٢٠٠) ، (١٩٢٦) .

خاتمة بأهم النتائج والتوصيات

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام علي الرسول الخاتم محمد بن عبد الله، عليه وعلي آله، وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلي يوم الدين..

أما بعد

فنظرا لما نشاهده اليوم من جفاء للنبي ﷺ من جانب بعض المسلمين ، وأيضا لما نراه من غلو متعمد من قبل بعض المنتسبين للإسلام، ومن تشويه لصورة محبة النبي ﷺ، ونظراً لعدم اهتمام بعض الباحثين بقضية **الاحتساب على الغلو في محبة النبي ﷺ** توجه الباحث نحو هذا الموضوع ؛ ليستخلص منه الموقف السليم نحو الاحتساب على الغلو في محبة النبي ﷺ ،وقد توصل الباحث من خلال دراسته لعدة نتائج وتوصيات يمكن إجمالها فيما يلي:-

١. محبة النبي ﷺ أصل عظيم من أصول الإسلام، يتوقف على وجوده وجود الإيمان ، فلا يدخل المسلم في عداد المؤمنين حتى يكون الرسول أحب إليه من نفسه، ومن الناس جميعاً.
٢. محبة النبي لاتتحقق بالإدعاء والقول فقط، بل تحتاج إلى ترجمة عملية على أرض الواقع، من خلال طاعة النبي ﷺ ، وإتباعه، وتعظيمه وتوقيره، والاقتداء به، وكثرة ذكره، ونصرة دينه، وكثرة الشوق إلى لقائه وغيرها من الأمور العملية.
٣. الغلو في محبة النبي ﷺ من الأمور المرفوضة في الإسلام شرعا وعقلا؛ لأن القرآن والسنة، وموقف الصحابة والتابعين والصالحين من هذه الأمة رفضت هذه الفكرة رفضا بائنا.
٤. الغلو في محبة النبي ﷺ أفرز لنا اتجاهات منحرفة في العصر الحديث أثروا على توصيل مفهوم الإسلام لبعض الناس تأثيرا بالغا، فوصلت الرسالة إلى بعضهم مشوهة ومبتورة

وغير صحيحة، وظهرت لها مكونات قبيحة ورزيلة أفسدت المجتمع وانحرفت به عن مساره الحقيقي كما رأينا ذلك في مجتمع الشيعة ومن سار على دربهم.

٥. الغلو لايظهر فجأة، ولكن له أسباب تساعد على ظهوره، وقد توصلت الرسالة إلى جملة من تلك الأسباب منها: الجهل بالدين، واتباع الهوى، والاعتماد على الأحاديث الواهية والموضوعة، ورواسب الديانات القديمة.

٦. إذا أردنا أن نتحصن ضد الغلو في محبة النبي ﷺ فهناك طرق للوقاية توصلت إليها الدراسة وتمثلت في الاعتصام بالكتاب والسنه بفهم سلف الأمة، ونشر مذهب أهل السنة والجماعة، ومعرفة أخبار الصحابة والتابعين والعلماء الصالحين في هذا المجال.

٧. من طرق العلاج في كيفية الاحتساب على الغلو في محبة النبي ﷺ الوعظ والنصح، ببيان حكم الابتداع في الدين، وحكم الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، يضاف إلى ذلك إتباع التهديد والتخويف، وإنزال عقوبة التعزيز والحبس ، والتغيير بالقوة لبعض الشركيات التي تقع بدعوى حب النبي ﷺ.

٨. الغلو في محبة النبي ﷺ له آثار وخيمة على الاعتقادات والعبادات الشرعية، حيث إنه يؤدي – والعياذ بالله– إلى الشرك بالله، والضلال عن الهدى ، والاختلاف وتفرق المسلمين ، والاستدراك على الشريعة ، والوقوع في شر من المعصية،والانقطاع عن العبادات، والتشبه بالنصارى في غلوهم في نبيهم وكفرهم بالله، والبعد عن الله – عزوجل– .

٩. الاعتدال في محبة النبي ﷺ يترتب عليه حفظ الأمور العقائدية والعبادية، والتي تتمثل في تحقيق العبودية لله، والتوفيق للهداية واتباع أمر الله ورسوله،واجتماع كلمة المسلمين،واليقين بكمال الشريعة والتسليم والانقياد،والتوفيق لطاعة الله ورسوله،والمداومة على الأعمال الصالحة، والاقتداء بالنبي ﷺ، وموافقة منهج السلف الصالح ،والقرب من الله ونيل محبته.

١٠. يجب نشر ثقافة الاعتدال في محبة النبي ﷺ عن طريق المؤسسات العلمية التخصصة في هذا المجال؛ لنكشف الوجه القبيح للمغالين في محبة النبي ﷺ.

١١. هذه الرسالة تنبه الباحثين والدارسين إلى مجالات ثرية من الأبحاث والموضوعات التي تصلح لأن تكون منطلقا لهم في المستقبل.

قائمة المراجع

أولاً: الكتب:

١. القرآن الكريم.

٢. إحياء علوم الدين، للإمام أبي حامد الغزالي، ط ١٤١٤هـ ١٩٩٤م، دار الفكر، بيروت.

٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، مطبعة المدني، مصر.

٤. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط الثانية، ١٣٩٥ – ١٩٧٥ ،دار المعرفة – بيروت.

٥. اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبوالعباس، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط الثانية، ١٣٦٩هـ مطبعة السنة المحمدية – القاهرة.

٦. الآداب الشرعية، للإمام أبي عبدالله محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعمر القيام، ط الثانية ، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٧. الاستقامة، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ط الأولى، ١٤٠٣هـ جامعة الإمام محمد بن سعود – المدينة المنورة.

٨. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الإمام أبي بكر الخلال ،تحقيق عبدالقادر عطا، ط الأولى، ١٤٠٦هـ دار الكتب العلمية، بيروت.

٩. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، شيخ الإسلام ابن تيمية، ط الأولى، ١٤١٨هـ وزارة الشؤون الإسلامية – المملكة العربية السعودية.

١٠. الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية، يوسف النبهاني، ط١٨٩٢، المطبعة الأدبية، بيروت.

١١. البحث العلمي مناهجه وتقنياته، محمد زيان عمر، ط الرابعة، ١٤٠٣هـ دار الشروق، جدة.

١٢. التوسل أنواعه وأحكامه، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط الخامسة، ١٤٠٤هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.
١٣. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق : د.علي حسن ناصر، د.عبد العزيز إبراهيم العسكر ، د. حمدان محمد، ط الأولى، ١٤١٤هـ، دار العاصمة – الرياض .
١٤. الحاوي للفتاوى، لجلال الدين السيوطي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط الثانية، ١٩٥٩ م، مطبعة السعادة، مصر.
١٥. الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محمد عبد الله عمر الحلواني، محمد كبير أحمد شودري، ط الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٧م، دار ابن حزم، بيروت.
١٦. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور، ط الثانية، دار الآفاق الجديدة – بيروت.
١٧. الفلسفة الصوفية في الإسلام، الدكتور/ عبد القادر محمود، ط الأولى، ١٩٦٧م، دار الفكر العربي، مصر.
١٨. المسند، الإمام أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي، بيروت
١٩. المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، ط ١٩٦٢م، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر
٢٠. النفحات الأقدسية في شرح الصلوات الأحمدية الإدريسية، محمد بهاء الدين البيطار، ط الأولى، دار الجيل، بيروت.
٢١. تخليص كتاب الاستغاثة، لتقي الدين بن تيمية – ط ١٣٤٦ هـ، المطبعة السلفية، مصر.
٢٢. تفسير ابن كثير، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط الثانية، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م، دار طيبة للنشر والتوزيع.
٢٣. تفصيل عقائد السبئية في الملل والنحل، لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، ط١٤٠٤ هـ دار الصرفة،بيروت.

٢٤. تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين وتحذي السالكين من أعمال الهالكين، الإمام أحمد بن إبراهيم الدمشقي (الشهير بابن النحاس)، ط الخامسة، ١٤٢٤هـ، مؤسسة سليمان الراجحي الخيرية، الرياض.

٢٥. تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، مكتبة الرياض الحديثة – الرياض.

٢٦. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تحقيق/ عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط الأولى، ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠م مؤسسة الرسالة، بيروت.

٢٧. جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام، لابن قيم الجوزية، تحقيق طه يوسف شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٨. حقوق النبي ﷺ على أمته في ضوء الكتاب والسنة، محمد بن خليفة بن علي التميمي، ط الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، أضواء السلف، الرياض.

٢٩. ديوان البوصيري، لأبي عبد الله محمد بن سعيد بن حماد البوصيري، تحقيق محمد سيد كيلاني، ط ١٣٧٤ هـ، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر.

٣٠. روضة المحبين ونزهة المشتاقين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، طبعة عام ١٤١٢ – ١٩٩٢، دار الكتب العلمية – بيروت.

٣١. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، لأبي القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي، تحقيق الدكتورأحمد محمد حمدان، ط الرابعة، دار طيبة، الرياض.

٣٢. شرح العقيدة الطحاوية، للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، تحقيق د/ عبدالله التركي وشعيب الأرنؤوط، ط الثانية،١٤١٣هـ ١٩٩٣م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٣٣. شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، محمد الزرقاني بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن علوان المصري ، تحقيق محمد عبد العزيز الخالدي، ط الأولى، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٤. شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١٣٨١هـ، مطبعة عيسى الحلبي ، مصر .

٣٥. عقائد الشيعة في مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن، ط الثالثة، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٦. فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني، دار المعرفة – بيروت.

٣٧. لسان العرب، لابن منظور محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ط الأولى، دار صادر – بيروت.

٣٨. مجموع الفتاوى، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق أنور الباز – عامر الجزار، ط الثالثة ، ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥ م، دار الوفاء، مصر

٣٩. محبة النبي ﷺ بين الاتباع والابتداع، لعبد الرؤوف محمد عثمان، ط ١٤١٤هـ، الرئاسة العامة لإدارة البحوث السعودية – الرياض.

٤٠. مشكاة المصابيح، لولي الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب العمري التبريزي، مع شرحه (مرعاة المفاتيح) للشيخ أبي الحسن عبيدالله بن العلامة محمد عبدالسلام المباركفوري .

٤١. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط : ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، دار الفكر، بيروت.

٤٢. هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل، ط الثالثة، ١٣٩٩ هـ، دار الكتب العلمية بيروت.

ثانيا:الرسائل العلمية

١. خطاب دعاة الغلو الاعتقادي في المجتمع السعودي، محمد بن إبراهيم الزهراني، رسالة دكتوراه،كلية الدعوة والإعلام - ١٤٢٦هـ - ١٤٢٧هـ.

٢. ظاهرة الغلو في الدين في العصر الحديث، محمد عبدالحكيم حامد، رسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة منشورة بدار المنار الحديثة - ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٣. مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر، عبدالرحمن بن معلا اللويحق، رسالة دكتوراه في كلية الشريعة منشورة بمؤسسة الرسالة ط ٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله ، وصحبه وسلم، تسليماً كثيرا.

الفهرست

اسم الملف: تعديل٢٠١٢-١٢-٠١
الدليل: C:\Users\glass\Documents
القالب:

C:\Users\glass\AppData\Roaming\Microsoft\Templates\Normal.dotm
العنوان:
الموضوع:
الكاتب: glass
الكلمات الأساسية:
تعليقات:
تاريخ الإنشاء: ٢٠١٢/١٢/٠٥ ٠٨:٣٦:٠٠ م
رقم التغيير: ٣٢١
الحفظ الأخير بتاريخ: ٢٠١٢/١٢/٢٨ ٠٩:٥٣:٠٠ م
الحفظ الأخير بقلم: glass
زمن التحرير الإجمالي: ١,٣٩٣ دقائق
الطباعة الأخيرة: ٢٠١٢/١٢/٣١ ٠٦:٣٦:٠٠ م
منذ آخر طباعة كاملة
عدد الصفحات: ١٣٧
عدد الكلمات: ٢٨,٨٠٦ (تقريباً)
عدد الأحرف: ١٦٤,١٩٨ (تقريباً)